

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

١٠١

المجلد الثاني والعشرون

مدير المجلة

ورئيس تحريرها

محمد فريد جباري بك

مركز بحوث وتطوير علوم مصر

الاشتراك السنوي { ٤٠ مصر والسودان
٥٠ لمصارف القطر المصري

ثمان العدد ٥٠ ملجا

ادارة المجلد : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة الأزهر في عامها الثاني والعشرين

الحمد لله على ما وفقنا إليه من خدمة دينه القويم ، والصلاة والسلام على نبيه
ورسوله الكريم محمد ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإننا قد شارفنا السنة الثانية والعشرين من حياة هذه المجلة ، اللسان
الناطق للأزهر والأزهريين ، ولست بمبالغ إذا قلت إنها نالت في هذه السنوات
القليلة ما لم ينله سواها في مثلها من الشهرة ، وبعد الصيت ، والثقة التي لا تحصى ،
وقد أدت في مدى هذه المدة من الخدم للعالم الإسلامي في مشارق الأرض
ومغاربها ، مالا يتفق لغيرها ، لنسبها إلى الأزهر المعمور . فترى المسلمين يتلقون
أعدادها كلها ظهرت تلقى الظمائم الماء النير ، فيكتبون هل قراءتها ، ومن لم يعرف
العربية منهم يترجم حتى يترجم له قومه ما بهم جماعتهم منها . وهذه المنزلة ترجع
لحبهم للأزهر ، واعتقادهم الراسخ أنه كعبة العلوم الدينية ، ومورد الثقافة
الإسلامية ، والذين يحررونها خيرة الأزهريين علماء وعملا .

إن هذه المنزلة توجب علينا المزيد من التدقيق فيما ننقل من مقالات أصحاب
الفضيلة العلماء الذين يتفضلون بتزويدها من محصلهم العلي الثمين ، وتضطرننا
لأن نزيدها تحسيدا بقدر ما تمكننا منه الطاقة البشرية ، فإنه ليس وراء هذه الخدمة
بجال تصرف الأهمية فيه ، ولا بعدها غاية تتوق المهمة البشرية أن تصل إليها .

وأننا في هذا المقام نرى لزاما علينا أن ننوه بالتشجيع الذي تترى شأبيه
علينا من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، ونذكر ما يمنحنا إياه من
عطفه الملكي الثمين ، فإن هذا كله من العوامل التي أثبتت وثبتت أركان هذه المجلة ،
وتنها قوة على مضاعفة جهودها في خدمة الإسلام والمسلمين .

كذلك لا يجوز أن نغفل ما يبذله شيوخ الازهر الاكرمون من العناية بأمرها ، والرعاية للقائمين بها ، وخاصة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم . فإن فضيلته كان يمدّها بفتاويه القيمة في الشئون الدينية والدينية ، مما كان لها أكبر الآثار في كسب إكبار المسلمين لها ، واعتزازهم بها .

أما وقد وفينا ببعض ما عاهدنا الله عليه من صادق الخدمة ، وخالص الوفاء لهذه المجلة ، فإننا نعد قراءها بأننا سنكون عند ظنهم بنا حماة مخلصين لعقائد الإسلام ، ودعاة مروجين لفضائله بين الأنام ، معتمدين على الله في أداء واجبنا نحو دينه ، راجين منه العون والكفاية ، إنه ولي التوفيق ، وهو أكرم مسئول ؟

محمد فريبر وهدي



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

الاستاذ الاكبر الجديد

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد المجيد سليم

صدر أمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ، في اليوم السابع من شهر أكتوبر الجارى ، بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخاً للجامع الأزهر ، خلفاً للاستاذ الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخه السابق رحمه الله وتولاه برضوانه .

انقد وفق الله جلالة الملك توفيقاً عظيماً ، وسدد مرماه أكمل تسديد ، باختياره هذا الحبر النبيل لمشيخة الأزهر ، وهو البقية الصالحة من الاعلام الذين حفظوا تراث العلم جيلاً بعد جيل ، وصانوا ثروته القيمة في أحوال كانت تكنى لان تبددها كما بددت سواها من مذخور آبائنا الاولين .

وفضيلته مع تحليه بهذه الدرجة العالية من العلم ، قدر له أن يكون مشرفاً على تيار التطور الاجتماعى الذى تقلبت الامة في أدواره في عهدها الاخير ، بتوليه مهمة الإفتاء في الشؤون العامة صنيح كثيرة ، فكانت وظيفته تستدعى منه أن يكشف عن مكنونات الشريعة الخالدة ، وأن يجلى سماحتها ، وسعة صدرها لكل جديد نافع ، ولكل طريف لا بد منه ، فما كل بدعة ضلالة ، ولا كل محدث جهالة . فكان بفتاواه القيمة نعم العون للامة في دور نهوضها العقلى والمادى ؛ إذ جنبها موقف سوء الظن الذى وقفته أكثر الشعوب الإسلامية حيال التيار المدنى الحديث ، فلم تستفد منه شيئاً وجمدت حيث هى فأصبحت نهياً للمستعمرين .

ولإن فى تولى فضيلته مشيخة الأزهر على سعة علمه بالعوامل التى تعمل فى الامم الإسلامية من ناحية العلم وناحية الدين ، تحت تأثير المدنية الغربية ، وما تسلمت به هذه من علوم وفلسفات وفنون ، سيكون له إن شاء الله أثر بالغ فى هذا الدور من الانتقال الذى نحن فيه .

ولسنا نشك فى أن فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم رجل هذا العهد السعيد ، فلندع لفضيلته بالتوفيق ، ولجلالة الملك المعظم بدوام التأيد .

محمد فريد ومبرى

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ عبد المجيد سليم ، شيخ الجامع الأزهر

تحية من فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجواد رمضان
الأستاذ بكلية اللغة العربية

اعلُ ، وسد ، واهتز ، يا أزهري هذا سليم ، شيخك الأكبر
في سمته ، في طي أبراده تطابق المظهر والخبر
السلف الصالح عادت به أيامه ، والتطابق الانفر
والأمل البسامة لاحت لنا في وجهه ، أنواره تزهّرت

مركز تحقيق التراث علوم راسدي

بأيها الشيخ الجليل الذي
لا يعوز الأزهر علم وما
شجاعة الدين ، وإيمانه
فانهض بروح الدين في حصنه
واهتف بشرع الله في قدسه
لن يُخذل الحق ، وأنت الذي
ينفج طيب المسك إذ يُذكر
للعلم إلا بآبه — مصدر
أعز ما ينشده الأزهر
بجلك الأسود والاحمر
ينكف هذا الزمن الأغبر
يدعو به ، والأزهر المنبر

تهنئة

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم
شيخ الجامع الازهر

يوم أغر على الزمان محمداً
وافتر ثغر الدهر عن بسماته
والقوم بين مهل ومكبر
سبحانك اللهم فضلك ما يغ
والازهر المعمور صنت عريته
وبعثت فيهم قائداً من بينهم
شيخ الشيوخ ولا أبالي قائلاً
ولكم دعونا فاستجيب دعاؤنا
الازهرى سليقة وطبيعة
وهو البصير بدائهم ودوائهم
ياوحد العلماء أنت إمامهم
لك غيرة في الدين ذاعت شهرة
والحلم طبع والوفاء سجية
ومنايع التقوى تفيض جداولاً
اخلع على المعمور منك مهابة
في الشرق والإسلام هزة نشوة
دم للشريعة حامياً ومناخاً

سطعت كواكبه ولاح الفرقه
والازهر المعمور شكراً يسجد
بالبشر يشدو هاتف ومردد
تحمى الخليفة أن تمت لها يد
وأعدت عهداً للأولى قد شيدوا
يعلو بهم هام السحاب وبصعد
أنت المرجى والرئيس الاوحد
وأنت تعلم ما بنوا وتشيد
أدرى بطبع الازهرى وأرشد
يأسو الجراح وللجراح يضمّد
فأسلك بهم سبل الهداية يهتدوا
أما العلوم فأنت فيها المفرد
والعدل تاج شع منه المسجد
من نور قلبك والدلائل تشهد
وأعد إليه شياه يتجدد
هتفوا بحبك يا إمام ورددوا
في ظل فاروق تعيش وتسعد

الساعي السأوى

المراقب بالازهر

من فضيلة شيخ الجامع الأزهر إلى إخوانه المسلمين وأبنائه الأزهريين

نفشر فيما يلي الكلمة التي وجهها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر
الشيخ عبد المجيد سليم ، شيخ الجامع الأزهر ، إلى المسلمين وأبنائه الأزهريين ،
لمناسبة رأس السنة الهجرية :

نحمدك اللهم ونستعينك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونستغفرك وتوب
إليك ، ونعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك العصمة من الزلل ،
والتوفيق إلى صالح العمل ، ونصلي ونسلم على نبيك الذي بعثته رحمة للعالمين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين .

ربنا لا نزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

أما بعد ، فإني أهني إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى
الهجرة النبوية المباركة ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العام مباركا عليهم ،
وأن يوفقهم فيه إلى تبوي مكانة العزة والقوة ، وأن يربط على قلوبهم برباط
الإيمان والاخوة في الإسلام حتى يكونوا في سائر شعوبهم وبلادهم كالجسد الواحد ،
يشعر قاصيهم بما يشعر به دانيهم . ويرتفعوا بأنفسهم وأمتهم عن عوامل التفرق
والتقطع ، وأسباب التنازع والتباغض .

ولإنه ليسعدني ويشرح صدري أن يكون أول ما أطلع به إخواني المسلمين
بعد أن توليت منصبي هو هذا البيان الذي أتفاهل خيراً بمناسبته السعيدة وأجمل
النصح فيه ، والدعاء شكراً لله على ما حباني به من نعمة ، وولاء للمليك المعظم
على ما تفضل به علي من ثقة ، وعرفانا وتقديراً لعاطفة إخواني المسلمين الذين رحبوا
بمقدمي وهنأوني بمنصبي .

إذا كانت الذكريات في تاريخ الأمم مشارف واعتزاز ، يشرها الآخرون
إعجاباً ونشراً . بما فعل الأولون ، فإن فيها لعباً ينبغي أن تدرك ، ومثلاً يجب أن
تحتذى ، وإلا كانت مجرد أقوال تقال ، وخطب تذاع .

وإن تاريخ نبينا الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ،
لهو تاريخ المثل العليا ، والأخلاق الفاضلة ، والبطولة التي أساسها الصبر على
المكاره . والنيات المعلن ، والتضحية بكل عزيز وغال في سبيل الحق والخير
والإصلاح ، وما الهجرة إلا فصل من فصول التاريخ العظيم .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة فوق
الخمسين من عمره بثلاث سنين ، فلم يركن في هذه السن إلى الهدوء والراحة ،
ولم يشد النعيم والدعة ، ولكنه احتمل عبء الجهاد في سبيل الله راضياً مطمئناً
صابراً على الأذى محتسباً أجره على الله ، واثقاً بالنصر والفوز ، وقد راودوه
عن دينه ورسالته ، على أن يكون ملكاً أو يملأوا عليه بيته فضة وذهباً ، فأبى
واستمسك بما ندبه الله إليه ، وقال كلمته الخالدة التي بهت لها قلب كل مؤمن :
« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر
ما تركته حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه . »

وظل يصدع بكلمة الحق في وجوه أساطين الباطل عالية تدوى بها أرجاء
مكة وما حولها ، وتفض مضاجع مشركيها وطواغيتها ، فآذوه إيذاء شديداً
وحاربوه حرباً منكراً ، وألبوا عليه قوى الشر والفساد تأليباً ، فما لانت قنانه ،
ولا صدعت صفاته ، حتى إذا لجئوا إلى آخر وسيلة يلجأ إليها المبطلون حين
يضيقون بأهل الحق ذرعا هتموا بقتله ، ودبروا تدبيرهم الخبيث للفتك به ، أمره
الله أن يخرج من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بلد طيب ، صالح لاستقبال بذور
الخير والصلاح ، ونباتها لنباتاً حسناً ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه .

وهكذا ضرب المثل في الصبر حين صابر ، وفي الهجرة حين هاجر ، وعلم المؤمنين
وسائر المصلحين أن أول مراتب الجهاد هي الصبر كل الصبر والاحتمال كل الاحتمال ،
فاذا لم تجد المثابرة والمصابرة في بيئة من البيئات لفسادها والنوائها كان الرأي
والحزم أن تتحول دعوة الحق إلى غيرها ، وأن تطرق أسماء جديدة وهقولا

رشيدة ، فإن المبادئ والدعوات كما تحتاج في نشرها وتثبيتها إلى قوة وشجاعة وصبر واحتمال ، تحتاج كذلك إلى سياسة وبصر وحسن تصرف وتجديد في التماس وسائل النجاح .

إن هذه الذكرى تطالع المسلمين ، وقد تألبت عليهم في شتى بلادهم قوى الشر ، وداخلهم عوامل الفساد ودواعي الفشل والضياع ، فإذا لم ينتهوا من غفلتهم ويستيقظوا من رقادهم ، ويمالجوا أسباب ضعفهم وخذلانهم ، فإن الأمر والله جل ، وقد دلتنا عبر التاريخ وحوادث الدهر ، أن الأمم إذا انحلت أخلاقها ، وفسدت عقيدتها وخرجت على دينها والصلاح من تقاليدها ، وتذكرت للفضائل ، وانعمست في الرذائل ، كان ذلك من علامات ساعتها ودلائل آخرتها .

فإذا كنت موجهًا في بيان هذا إلى إخواني المسلمين نصيحة ، فهمي أن يفيثوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، ويعودوا إلى دينهم ، ويخلعوا أنفسهم من المباديل والمنكرات وسائر ما نهى الله عنه ، ويتمسكوا بالفضائل وأخلاق الشرف والاستقامة التي قضت سنة الله في خلقه ألا تنهض الأمم إلا بها ، ولا تقوم الحياة السعيدة إلا عليها . فمن اتبع هديها فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا .

أما أنتم أيها الإخوان والأبناء في الازهر من أساتذة وطلاب فنصيحتي إليكم أن تدركوا حق الإدراك أنكم مجتهدون في سبيل الله ، تبتغون للناس طريق الهدى وتدعونهم إلى الخير ، وتأمرونهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر ، وسبيلكم إلى ذلك أن تصلحوا أنفسكم أولاً ، وأن تعملوا منها مثلاً عملية يراها الناس فيحتذونها ، في الدين والعلم والخلق والمظهر والخبر ، فأقبلوا على دراساتكم ناشطين مخلصين ، وابدلوا في سبيل كمالكم العقلي غاية ما تستطيعون ، وتجهلوا بالفضيلة فيما بينكم وفيما بين الناس ، فإن العلم سلاحكم والخلق صلاحكم ؛ وليستحضروا الأستاذ وطلابه دائماً أن العلاقة بينهم كالعلاقة بين الأب وأبنائه . له عليهم السمع والطاعة والتوقير والإجلال ، ولهم عليه الإخلاص والصدق والنصح والتوجيه إلى التي هي أقوم .

إنني أريد لكم الخير وأبغىكم سبيل الرشاد، وأرجو تحقيق آمال الأمة فيكم، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم، وتأييد الحجة القائمة على أنكم أعلام الحق ودعائم الخير، فأعينوني على إصلاح شأنكم، وارفعوا رأسي أرفع رؤسكم، واستوجبوا العدل والإنصاف بالجد والإخلاص، وكونوا على اختلاف بلادكم وشعوبكم ومذاهبكم إخوانا في الله متحابين. وتعارفوا على البر والتقوى ولا تعارفوا على الإثم والعدوان.

أسأل الله لي ولكم الصلاح والرشاد.

يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر.

اللهم إني أتوجه إليك، توجه العبد الخاضع، لجلالك وعظمتك، الراجي لرحمتك ونعمتك، أن تنصر الإسلام والمسلمين، وأن تكلاً بعين رعايتك، وتمد بتوفيقك وهدايتك ملوكهم ورؤسائهم، ولا سيما ملك مصر وملازمها وموضع آملها، ومناطق مجدها وعزها، فاروقاً الأول حفظه الله وأيده بنصره، ووفق رجال حكومته إلى ما فيه الخير والصلاح.

اللهم وارحم ملك مصر الراحل الطيب الذكر فؤادا الأول، وأسبغ عليه حلال غفرانك ورضوانك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، وسلام الله ورحمته وبركاته عليكم أجمعين.

احتفال الأزهر بذكرى الهجرة النبوية

احتشدت ألوف مؤلفة من العلماء والوجهاء والطلاب يوم الجمعة أول العام الهجري بعد صلاة العصر بالجامع الأزهر ، لسماع كلمة الجامعة الأزهرية في يوم الهجرة النبوية ، وكان حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم في مقدمة المحتفلين بهذا اليوم الكريم : فمض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون سكرتير عام الأزهر فألقى كلمة أحسن فيها كل الإحسان ، ووفى المقام حقه أكمل توفية ، نقابلها المستمعون بالإعجاب والثناء . وها هي :

إذا ذكرت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم رجع الذهن إلى سبعين عاما وثلاثة عشر قرنا مضت على حادث تمخض عنه التاريخ ، لم يحدث مثله في العصور القديمة قط ؛ حادث تغير له وجه الزمان ، وانقلبت به الأوضاع والشرائع ؛ ذلك هو هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : حادث تجلت فيه قوة العزيمة ونفاذ البصيرة ، وكال البطولة ، وصدق الإرادة . وقوة الإيمان ، وغاية التضحية والإيثار .

أجر فجر النور المحمدي ، وأشرق سناؤه ، وتباج ضياؤه في جزيرة العرب ، وكان يسودها ظلام الشرك والجهالة ، وتتناوشها أحابيل الشرور والبوائق ، وعقاييل الاضطهاد والمظالم ، والعالم كله كان يئن تحت أنقال الحياة وضراوتها .

ظهر المعصوم ، صلى الله عليه وسلم ، في هذه البيئة يدعو الناس إلى الصراط المستقيم ، فوعد وأوعد ، وبشر وأنذر ؛ فمنهم من آمن به وهم قل ، ومنهم من صد عنه ، وهم من لهاميم قومه وعشيرته من قريش ، ومن لف لفهم من صناديد العرب المقادير ذوي العصبيات والكثرة ، فلم يلق منهم إلا تأييا ونفورا ، فما زال بهم يلاينهم ويصانعهم ، ويفتل بهم في الغدرة والغارب ، وما زالوا به يحاورونه

ذكرى الهجرة

١٣

ويدأرونه ، ويلفون حوله بالتهديد مرة ، وبالإغراء أخرى ، ويمدونهم ويمنونهم بالمال والجاه والملك والشرف ، وهو عن ذلك متأبٍ ، معرض أشد الإغراض ، فعدلوا عن الإغراء إلى مطاردته والتضييق عليه ، وتعذيب أصحابه أشد العذاب . كان يصلي بالكعبة فأنوه وهو ساجد ، ووضعوا سلا البهائم على رأسه ورقبته ، فجاءت فاطمة باكية وأماطت هذا الأذى عنه . وكان يصلي مرة أخرى فيجئ أحد أعمامه ويخنقه ، وجعل يعتصر رقبته حتى جمحت عيناه فيأني أبو بكر ، ويمنع عنه ، ويقول : « أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، ومع ذلك التضييق والتعذيب يثبت في دعوته ، ويحتمل الأذى في سبيلها ، ماضياً لا يصدده صاد ، مقدماً لا يرهب الردى . ويؤخذ بلال ، وهو أحد الموالى المؤمنين بالدعوة ، ويجلد بالسياط وهو يقول : « أحد أحد . » وعمار بن ياسر توضع الصخرة محماة فوق بطنه ، ويعذب هو وأهله بالنار ، وهم صابرون ثابتون على إيمانهم .

ولقد نفثن المشركون في ضروب الإيذاء للصادق المصدق ، صلى الله عليه وسلم ، وهو في غضون ذلك ينتهز الفرص في المواسم ، ويدعو الوافدين على أسواق مكة ، والبيت الحرام ، ويعقد البيعة سراً على الهدم والدم مع رهط من الخزرج من أهل المدينة ، فكانوا أعضاداً له وأنصاراً في مستقبل الأحداث الجسام .

ولقد نمنى المسلمون بأعظم المحن والبلايا في أنفسهم وفي أموالهم ، فقر كثير منهم رجالاً ونساء إلى الحبشة ، وإلى غير الحبشة من الاصقاع النائية ، وبقي البعض بمكة يعاني من الشدة والضيق ما لا يحتمل ، ولا يستطيع الصبر عليه ، وفي آخر الامر رأى أعداء الحق أن يقضوا على الدعوة قضاء مبرماً ، وأن يقتالوا صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، فاشتوروا وتراثوا الامر بينهم ، وانفقوا على أن يقوم بالامر في ذلك فتيان أشداء من قبائل العرب ، ويضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد المطلب على الثأر له ؛ فأطلعه الله على مكرمهم ، وتأذن له بالهجرة إلى المدينة ، وإذ يمكر بك الذين

كفروا اليئسبوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين . .

مضى النبي قدما إلى الغاية التي رسمها الله له ، ومعه صاحبه أبو بكر . وضربا في الصحراء في ليل أليل حتى بلغا غار ثور ، فلما بلغاه تقدم أبو بكر فاستبرأه ، ودخله الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه الصديق رضى الله عنه ؛ ويصبح المتآمرون وقد دخلوا دار الرسول شاهرين أسلحتهم ، لتنفيذ انتماءهم ، فيجدون عليا نائما في موضعه ، مسجى بردائه صلى الله عليه وسلم ، فيرتدون خائبين . ثم تجدد قريش في طلبه واللاحق به ، ويمرون بغار ثور ، ولو أنهم نظروا تحت أرجلهم لرأوه صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أعمى أبصارهم كما أعمى بصائرهم ، وأنجاه من كيدهم .

إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بخنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم . .

وبعد ثلاثة أيام مضاهها الرسول صلى الله عليه وسلم في غار ثور ، اتخذ سبيلا إلى المدينة فاستقبله أهلها مكبرين مهللين . قال البراء : « ما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم برسول الله يوم جاء المدينة . . وبذلك تمت هجرته صلى الله عليه وسلم ، وسمى المسلمين بالمدينة الانصار .

وعلى أثر ذلك هاجر كثير من أصحابه إلى المدينة ، فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين الانصار ، وجعلهم أمة متراصة متماسكة قوية ، ثم وحد بين الاوس والخزرج ، وقد دخلوا في الإسلام أفواجا أفواجا ، فكانوا إخوة متحدى الافئدة والغاية والامل . وزال ما كان بينهم من جفاوة وعداوة قديمة مستحكمة .

وبعد أن استقر الامر للرسول صلى الله عليه وسلم عباً للجيش ، وعقد

لها الأولوية ، وبعث البعوث ، وأخذ من ذلك الحين يحمى الدعوة الإسلامية ويزود عنها ، ويقاوم من يصد عن سبيلها .

« ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ، وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدوكم أول مرة ، أتخشونهم . قاله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويغزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . »

ومن ذلك قويت شوكة المسلمين ، وتأمنت الدعوة الإسلامية ، وجعل الناس يدخلون في دين الله آمنين مطمئنين ، وعم الإسلام ربوع الجزيرة ، ثم أخذ يزحف إلى جوارها ، وما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى حتى كان الإسلام قد شرق وغرب ، وكانت له الكلمة العليا .

والعبرة في الهجرة :

١ — أن القادة والأحرار إذا سيموا الضيم في أوطانهم ، ولم يستطيعوا تأدية رسالتهم في قومهم ، هاجروا إلى بلاد ينهيا لهم فيها العمل أحراراً ، ويتمكنون من إسماع صوتهم إلى مواطنهم .

٢ — أن الأحرار بهجرتهم يستطيعون بحيلتهم ، وحسن سياستهم أن يجمعوا حولهم أنصاراً يساندونهم في بلوغ غايتهم ، ومعقد آمالهم ، وبذلك يرجعون إلى أوطانهم منتصرين فاتحين .

ويقول الله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ »

« ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعاً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً . »

وفي هذه الهجرة بالذات تحققت تلك العبرة : وكانت فرقا بين الحق والباطل ، والظلام والنور ، والخير والشر ، وكان فيها هداية الناس ، وسعادة البشر .

وإن الأزهر إذ يحتفل بالهجرة النبوية ، إنما يحتفل بحادث إسلامي عظيم له خطره في حفز الجماعة الإسلامية إلى أقدس الغايات ، وأسمى المقاصد ؛ وتذكيرهم بأيام البطولة الخالدة للمسلمين الذين كانوا يعيشون للحق ويتسابقون إلى سُوح الموت والشهادة ؛ للزيادة عن الراية الإسلامية ، وإعلاء كلمة التوحيد .

أما بعد : فإن الأزهر ليأسف أشد الأسف لفقد شيخه السابق المغفور له فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى ، فقد كان عضداً للدين ، وأباً رحماً للأساتذة والطلبة ، وكان ميمون النقية ، عظيم النفع .

وللإسلام والمسلمين خير عوض في شيخ الأزهر الحالى ، فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، ولقد فرحنا بتوليته كرسى المشيخة فرحاً عظيماً ، ففضيلته معروف بالورع والتقوى ، والغيرة على الدين والكرامة ، والتضلع من علوم أصول الدين ، والفقه الإسلامى على الأخص .

حفظه الله نصيراً للدين ، وأبقاه عضداً للعلم والعلماء ، وأعانه على عمل الخير للأزهر والأزهريين .

ونصلى ونسلم عليك يا رسول الله صلاة وسلاماً دائماً ملك الله .

وندعوك اللهم أن تهدينا بهديه ، وأن تيسر لنا السير في سبيله ، وأن تبصرنا بحالنا ، وأن توفقنا إلى خدمة الوطن الإسلامى ، وأن تسدد خطوات ولاية الأمور فينا ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة المتوكل على الله الملك فاروق الأول ، ناصر الدين ، وحامى حى الإسلام والمسلمين .

اللهم احمه بحمايتك ، وارعه برعايتك ، واكفل له حياة مديدة مقرونة بالعز والتأييد .

وأن توفق رجال حكومته الرشيدة لعمل ما فيه خير العباد والبلاد .

لَيْسَ هَيْبَانِجَلْ

صدر كتاب تحت عنوان (من هنا نبدأ) أحيط بلغظ شديد ، ثم صودر ، و وكل أمره إلى محكمة القاهرة الابتدائية ، حكمت بأن ليس للقانون مسوغ في مصادرتة ومنع انتشاره ، فأقبل الناس على قراءته ليروا متار الضجة التي أوجبت محاكته ، حتى طبعت منه عدة طبعات في مدى نحو ثلاثة أشهر ؛ وهو إقبال لم يصادفه كتاب قبله في هذه البلاد . ولذلك عينا بأمره وقرأناه بعناية ، فوجدنا مؤلفه الفاضل فضيلة الاستاذ خالد محمد خالد خريج كلية أصول الدين ، قد خاض بحراً لا ساحل له من فلسفة الدين ، وفلسفة الاجتماع ، أذاه إلى وجهات نظر تحتاج لتحيص دقيق ، وتحليل محكم ؛ لأنه بعد أن منحته المصادرة هذه الدرجة من الذبوع يجب أن ينال حقيقته من النقد ، لاسيما وقد عالج أعظم المسائل خطورة ، وهي الدين ، والاجتماع ، وتوزيع الثروة العامة ، ولا توجد مجلة من اختصاصها هذه المسائل أجدر من مجلة الأزهر بنقده .

كتاب (من هنا نبدأ) يشتمل على أربعة أبواب ، أولها (الدين لا السكينة) ، وقد شغل منه ثمانية وأربعين صفحة ؛ ثانياً (الخبز هو السلام) ؛ وقد استدعى منه ثمانية وأربعين صفحة أيضاً ؛ ثالثاً (قومية الحكم) وقد أخذ منه خمسة وستين صفحة ؛ رابعاً (الرثة المعطلة) وقد استوعب منه تسعة وخمسين صفحة . وقد وضعنا كتاباً ناقشنا فيه فضيلة الاستاذ مناقشة علمية ، الغرض منها الوصول إلى الحقيقة لا إثارة المهازرة ، وعرقلة المساعي التي تبذل للإصلاح والتكامل ، وقد سلطنا للطبعة على أن لا تذيبه إلا بعد أن يتم نشره في هذه المجلة .

قال فضيلة الاستاذ في أول فصل من كتابه :

« كل ما نود أن ننصح به ، هو أن نبارك هذا (الوعي) وندعه ينمو ويتساق ، وأن لا نحاول فط كبحه وزجره ، فإن ذلك هو السبيل كل السبيل إلى خلق المجتمع الحر الباسل ، الذي نريد أن نكونه . قد أصيب مرة وتخطى مرات (يريد الأمة) ، ونهتدى تارة وتضل تارات ، ولكنها أخيراً سوف تضع أقدامها على صراط الحقيقة والصواب . »

« إننا لن نقدم لمجتمعنا في هذه الفترة الحاضرة خيراً من (الحرية) ، كي يستطيع في ضوءها وسناها أن يرى ، ويفكر ، ويختار الطريق القويم . »

« والنحرر من (الخوف) هو نقطة البدء في طريقنا الطويل ورحلتنا الشاقة . »

« ومن أجل ذلك يحى هذا الكتاب في أوانه ، ليقول للمجتمع (لا تخف) ، وليرشح من طريقه تلك الأشباح التي تخيفه وتخذله وتملؤه روعاً ورعباً - كما يهيب بالمواطنين جميعاً حكومة وشعباً وأفراداً ، أن يتحملوا تبعات الرشد في شجاعة وغبطة ، وأن يتقبلوا الواجبات الجديدة التي تفرضها علينا الحياة وظروفها ، وأن يكون كل مواطن أداة حية تساهم في التحول الاجتماعي الرشيد الذي تنوق إليه ، والذي يجب أن يبدأ فوراً ويتم سريعاً . »

ثم فسر حضرته ما يريده من قوله التحول الاجتماعي ، أنه : « إلى قومية شاملة لا تنافر فيها ، وإلى اشتراكية عادلة لا استغلال ولا ظلم فيها ، وإلى وعى ناضج سليم لا سلطان للرجعية ولا للكهنات عليه ، وإلى سلام غامر يبدل حقد المجتمع حياً ... وترئفه ولأه وأمنأ ، وقلقه استقراراً وغبطة وسكينة . »

ونحن نعلق على هذا الكلام بقولنا :

إن وعى الجماعات كوعى الأفراد يكون عادة مقدمة بلوغها جميع مقدمات الحياة ، وأسباب البقاء . ولكنه كما هو لدى الأفراد يحتاج لتوجيهات من الآباء والمعلمين ، هو كذلك لدى الجماعات في حاجة ماسة إلى هداة ومرشدين : فإن أعوزوا ارتد هذا الوعي كارثة عليهم ، وانقلب بحكم التطور إلى اندفاع لا يقف في عنقه عند حد ، وهو ما نعانیه اليوم من تدهور الاخلاق ، وانحلال الرُّبُط الادبية

وتدافع الجماهير إلى ما يبدها ويددها. ومن العجيب أن المؤلف ينصح - والحال كما نرى - بمنحها (الحرية) ومعضها بالتححرر من (الخوف) أيضاً ١ .

إن الخروج على الآداب المتفق عليها في هذا الدور الذي نحن فيه ، ويسميه الأستاذ ، وعيا ، ويطلب له المزيد من الحرية ، قد بلغ إلى حد لا يمكن أن تقبله وتطبيقه أمة لها أمل في البقاء ، فقد عتق الأبناء الآباء والأمهات ، واستخفوا بالآداب والمعتقدات ، ولولا أن القوانين تحد قليلا من هذه الإباحة الجنونية ، لاصبحت الطرقات والمتنزهات بؤرا لأحقر ضروب الموبقات .

أفيظن مؤلفنا أن هذا الضرب من الوعي المترك لسלטان الشهوات ، يؤدي إلى ما يتخيله من نهوض ، وخاصة بعد أن يهبه الناس قسماً من الحرية أوفى مما كان سبباً في هذه المنكرات ؟ لم يقل بهذا الرأي عالم اجتماعي في العالم ، لأنه مما لا يعقل ؛ فإن الشعوب إذا تمادت في ركوب أهوائها ، جرفت انحرافاتها في متاهة من الضلال ليس وراءها إلا التفكك والانحلال .

إن الشعب الذي يترك له الزمام ، وخاصة في دور شببته ، لا يزال يهيم في متاهات طيشه حتى يصاب بالإعياء الذي يسلبه إلى اليأس ، وإذا ذاك إما أن يفنى في جثمان شعب آخر ، أو أن تحتله دولة مستعمرة تستغل الذماء الذي بقي له من الحياة . أما البقاء فلا والله ، إلا إذا وعى الحياة على ما يفهم المصلحون ، وحد من شهواته وحرته ، واحترم الوصايا التي أجمع العالم كله على أنها أصول الرقي ، ونبات الفلاح .

ومن عجب أن الأستاذ يقيح للشعوب أن توثق كل هذه (الحرية) ، وينصح بعدم الحد لها منها ، ويوصيها أيضاً بأن تنزع (الخوف) من قلبها ، أي أن لا تحسب لمغبة تهورها حساباً ! فليسمح لي أن أقول : إنه لا يوجد شعب يدخل في هذا الدور ملقى حبله على غاربه ثم يخرج منه وله وجود بين الشعوب ! بل أن أقول : لم يوجد شعب كتب له البقاء وجد في الشروط التي يوصي بها الأستاذ منذ عرف التاريخ ؛ فقد جرت سنة الله على أن الشعوب التي كتب لها الوعي

والارتقاء ، ينشأ من صميمها أفراد يتولونها بالنصح والإرشاد ، ويعملون من صوجها كلما انحرفت عن الطريق ، ويرشدونها إلى سواء الصراط ، تارة بالوعظ والتذكير ، وطوراً بالزجر والعقاب ، حتى تبلغ أشدها ؛ ولا تحرم في دور من أدوارها من المرشدين والهداة . فعلى أى أساس على يدعو الأستاذ القادة والقائمين على الأخلاق والآداب أن يلزموا الصمت والاستكانة ، تاركين شعبهم يهيم على غير هدى حتى يتنزل عليه الرشد من نفسه فيستقيم ؟ هذا طلب ما لا يمكن ولا يكون ، وما لم تجر سنة الله به في أمة من الأمم من يوم خلقها إلى هذا اليوم .

وبعد ، فإلى أى هدف يرى الأستاذ بعد إسدانه هذه النصائح : ، إلى قومية شاملة لا تنافر فيها . وإلى اشتراكية عادلة لا استغلال ولا ظلم فيها ، وإلى وعى ناضج لا سلطان للرجعية ولا للكهنات عليه ، وإلى سلام غامر يبدل حقد المجتمع حياً ... وتربصه ولاء وأماناً ، وقلقه استقراراً وغبطة وسكينة .

نقول . أما الاشتراكية فهي لا تزال في الميزان ، فقد قال بها أفلاطون قبل نحو ألفين وأربعمائة سنة ، فاعتبر قوله الناس من الأمور الخيالية . ولكن التفكير فيها بقي حياً يظهر حيناً ويختفي أحياناً . ففي القرن الخامس عشر دعا إليها الفيلسوف (توماس مور) الإنجليزي . فشرع الناس يؤسسون مدناً على النظام الاشتراكي البحت ، فلم تدم لها قائمة ، وعلل الاشتراكيون فشلها بأنها لم يراع في إنشائها ما يحيط بها من المؤثرات .

فلما نبغ (كارل ماركس) ، وكان من يهود ألمانيا ، وضع للاشتراكية أساساً عليها ، فدعا إلى الاشتراكية العالمية لتتوحد الأنظمة في سائر الممالك ، ويكون ذلك داعياً لبقاتها ، فاعتبر أبا للاشتراكية . وهي تقوم على أصليين رئيسيين : إلغاء الملكية الفردية إلى حد ما ، وإلغاء الوراثة إلغاء تاماً ، لتكون الأرض ملكاً لجميع العائشين عليها . فهي كما ترى تصطدم بعقبتين كأداوين : إلغاء الملكية والوراثة ، وهما أعلق بقلب الإنسان من أعز شيء عنده ، ولكنهما يسهلان على من لا يملك شيئاً .

نعم لا توجد مملكة تخلو من دعوة اشتراكية واشتراكيين ، ولكنهم في كل بلد ، ما عدا روسيا ، قلة لا نستطيع أن نتفرد بالحكم فيه ، ومع ذلك يقول الأستاذ في صفحة (١٢٨) من كتابه : « لقد انعقد (إجماع العالم المتحضر كله) على أن النظام الذي تبلغ به المنفعة الاجتماعية حدما الأقصى في الوقت الحاضر هو الاشتراكية ، ويتجلى هذا (الإجماع العالمي الرشيد) في أخذ الدول الناهضة (جميعها) بهذا النظام ، وتطبيقه على مجتمعاتها تطبيقا قد تختلف وسائله . ولكنه في شتى مظاهره يفضى إلى غاية واحدة . وإن مواكب الأمم الراقية لتتخطف الأبصار وهي سائرة في طريقها إلى قم الاشتراكية العليا . »

نقول : إننا نعجب من قول الأستاذ بالانعقاد إجماع العالم المتعبد على أن الاشتراكية خير نظام تبلغ به المنفعة الاجتماعية حدما الأقصى ، وأن الدول الناهضة تأخذ بها وتطبقها الخ ، وأنت ترى وتقرأ في الجرائد كل يوم أن الاشتراكية حزب من الأحزاب لا أكثر ولا أقل ؛ وأنها لم تل الحكم فيها منفردة بالسلطان إلا في إنجلترا ، ولكن اشتراكيي الإنجليز معتدلون لا يقولون بإلغاء الملكية الفردية ولا الوراثة ، بل لهم مطالب يتفاوضونها من أصحاب رؤوس الأموال طلبا لتحقيق التوازن الاقتصادي ، ودفع كابوس البؤس عن الطبقة العاملة ، وقد رضخ لهم أصحاب رؤوس الأموال بكثير مما يطلبون . وقد فازوا في الانتخابات مراراً وتولوا الحكم ، فلم يصدر منهم أقل تطرف يثير نائرة المحافظين . ووزارتهم اليوم في إنجلترا على وشك السقوط ، فلا تزيد أغلييتها عن نحو ستة أصوات .

ولم يل الاشتراكيون الحكم منفردين قط لا في فرنسا ولا في إيطاليا ولا في أية مملكة أوربية ، ورغمما عما يحدثونه من المشاغبات والإضرابات عن العمل هناك ، فإن تلك الممالك لا تنهم في الانتخابات العامة إلا عددا محدودا من المقاعد لا تبلغ ربع ما لبقية الأحزاب . وذلك لا لأنهم يكرهون العمال ويرونهم أجدر بالسكد والإرهاق ، ولكنهم يكرهون التنازل عن الملكية الخاصة

والوارثة ، ويتساعجون بكل ما دونهما ، فأصبح ما سمحوا به من مطالب العمال الحققة حدا يشكرون عليه .

فالدول الاوربية لم تأخذ بالنظام الاشتراكي كما يقول الاستاذ ، ولم يعتقد إجماع العالم المتحضر كله على أن الاشتراكية هي النظام الذي تبلغ به المنفعة الاجتماعية حدا الأقصى في الوقت الحاضر . ألا ترى أنه لو كان الامر كذلك لاندجحت جميع الاحزاب في الاشتراكية ، ولانتخب الناس لمجالسهم النيابية الاشتراكيين دون سواهم .

يجوز أن تصبح الاشتراكية في عهد من العهود المستقبلية مذهب الناس أجمعين ، ولكن ذلك لن يكون إلا إذا بلغ الناس حداً من التعاطف الإنساني ، والترابط الاخوي ، ومن عدم الانانية ، والتزهد عن الذاتية ، بحيث تنعدم في نظرم الفوارق الشخصية ، وهذا ، إن لم يكن محالاً ، فلن يكون إلا بعد أدوار عديدة من التطور السبلي والنفسى لا يمكن أن نتخيله تخيلاً ، لأنه لا يوجد في العالم بعد بلوغ الثقافة إلى الحد الذي وصلت إليه اليوم ما يدل عليه . فلا تزال الأمم تميل للتناحر ، والآحاد في أرقاها كعباً في المدنية دائبين على التزاحم ، ولا تزال الطبيعة البشرية بشينها حب الذات ، والميل إلى التفوق ، وبزئدها شينا الكبر والحسد والضغينة والطمع والشر ، وتلوثها بشرور كثيرة من حب العدوان والتأر والسرقة والغش والتدليس والتحايل وغيرها مما لا يحصى ، أفلا ترى معي أنه قبل أن يعيش الناس إخواناً مشتركين في الحياة ، يجب أن تزول كل هذه الآثام والارجاس من الطباع ، وأن تطهر النفوس من أدرانها ، وما تؤدي إليه من مآسها ، وأن يحل محلها أصدادها من الصفات النبيلة ، والميول السامية ، والنوايا السليمة ، ليتمكن أن يعيش الناس جميعاً كأنهم أفراد أسرة واحدة ؟

فإن أردت - مع تلوث بني آدم بكل هذه الشرور - أن تسود الاشتراكية الأمم ، فذلك لن يكون إلا بإكراهها عليها ، ومن ذا الذي يكرهها وهي حرة تعطى بلادها من ضروب الحكم ما تشاء .

محمد فريد وهبى

التأريخ

لفضيلة الاستاذ الشيخ فكري يس

أخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد قال : ما عدوا من مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا من متوفاه ، وإنما عدوا من مقدمة المدينة .

ينبئنا هذا الاثر الجليل أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يجعلوا وقت مبعثه
صلى الله عليه وسلم ، ولا وقت وفاته مبدأ لعدد السنين والاعوام ، وحساب
الشهور والايام ، وتاريخ الحوادث والاحوال ، وإنما جعلوا وقت خروجه
من مكة إلى المدينة مهاجراً هو المبدأ لذلك ، فقد اتفقت له صلى الله عليه وسلم
أربع حوادث جسام ، وقتاً عظيماً ، كل منها يصح أن يؤرخ به ، ويصلح
أن يكون مبدأ للتأريخ ، وهى : مولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، ولكنهم
رجحوا الهجرة على غيرها ، لأن المولد والمبعث لا يخلو كل منهما من الخلاف
والنزاع حول تعيين وقته بالضبط والتحديد ، ولأن الوفاة توقع تذكرها
واستحضارها فى كثير من الأسف والالام على فراقه صلى الله عليه وسلم ، فاختروا
الهجرة ، لأنها لا ينجم عنها شيء من ذلك .

والتأريخ بالهجر ، ثم ترك تخفيفاً ، وهو تعريف الوقت من حيث هو وقت ،
ومثله التورخ بالواو ، وهو قليل الاستعمال ، يقال : أرخت وورخت : وقتت ،
وقيل : تأريخ كل شيء غاية ووقته الذى ينتهى إليه ، ومنه قيل : فلان تأريخ قومه ،
أى ينتهى إليه شرفهم ورياستهم .

والتأريخ فى الاصطلاح : توقيت الفعل بالزمان ، ليعلم مقدار ما بين ابتدائه ،
وبين أبة غاية فرضت له ، فإذا قلت : كتبت فى يوم كذا من شهر كذا
من سنة كذا ، وقرىء بعد ما كتبت سنة مثلاً ، علم أن ما بين الكتابة
وبين قراءتها سنة ، وقيل : هو أول مدة الشهر ، ليعلم به مقدار ما مضى .

وكان التأريخ يستعمل أولاً في نفس الوقت الذي يحدث فيه الشيء، ثم توسع فيه حتى صار يستعمل فيما يمرض لهذا الشيء من أحوال .
وهناك خلاف مشهور في أن لفظة « تأريخ » هل هي عربية أو أعجمية ؟ ، فن يرى أنها هريية يقول : إنها مشتقة من الأرخ — بفتح الهمزة وكسرهما — وهو ولد البقرة الوحشية ، كئانه شيء . حدث كما يحدث الولد ، وقيل : الأرخ : الوقت ، والتأريخ التوقيت ، وقيل : التأريخ قلب التأخير .
ومن يرى أنها أعجمية يقول : إنها معرب « ماه روز » ، ومعناه حساب الشهور والأيام .

وقال بعض الباحثين : إن كلمة « تأريخ » في اللغة العربية مولدة من كلمة « ياروخ » في اللغة العبرية ، ومعناها فيها هو القمر ، والقمر في اللغة التركبية اسمه « ياروق » ومعنى الاسم هو المنير المضيء ، استعارته اليهود من الأتراك ، كما استعارت اسم « التوراة » من « توره » ، ولذا لم ترد كلمة « تأريخ » في القرآن ، ولا في لسان النبي صلى الله عليه وسلم .
والتأريخ معروف عند الناس من قديم الزمان ، فإنه لما كثرت بنو آدم ، أرخوا بهبوط آدم من الجنة ، فلما بعث الله نوحاً ، أرخوا من الطوفان ، فلما كان تحريق إبراهيم ، أرخوا من ذلك إلى زمان يوسف ، ثم إلى خروج موسى من مصر ببني إسرائيل ، ثم إلى زمن داود ، ثم إلى زمن سليمان ، ثم إلى زمان عيسى ، وقيل : أرخت اليهود بخراب بيت المقدس ، والنصارى برفع المسيح ، وقيل : كان بنو إسماعيل يؤرخون من بنيان البيت ، حتى مات كعب بن لؤى ، فأرخوا من موته ، فلما كان عام الفيل أرخوا منه ، وقيل : كان في اليمن والحجاز تواريخ كثيرة ، يتوارثونها خلفاً عن سلف ، وأما كانت باعتبار حوادث وقعت في الأيام الخالية ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، اتخذ المسلمون هجرته مبدأ للتأريخ ، وتناسوا ما قبله .
وذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتأريخ يوم قدم المدينة مهاجراً في شهر ربيع الأول ، ويعضد هذا ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران ، وأمر عليهما أن يكتب فيه : إنه كتب لخمس من الهجرة ، فيكون أول مؤرخ بالهجرة — على هذا — هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن المحفوظ المشهور أن أول من وضع التاريخ الهجرى هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد ذكروا فى سبب ذلك عدة روايات :

منها أنهم كانوا قبل خلافة عمر يسمون كل سنة باسم حادثة وقعت فيها ، كسنة الإذن ، وسنة الأمر ، وسنة الابتلاء ، فلما كانت خلافته رضى الله عنه سأله بعض الصحابة فى ذلك ، وقالوا : هذا أمر يطول ، وربما يتبع فى بعض السنين اختلاف وغلط ، فاختار رضى الله عنه عام الهجرة مبدأ من غير تسمية السنين بما وقع فيها ، فاستحسن الصحابة رأيه فى ذلك .

ومنها أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر أنه يأتينا من أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، ولا ندرى بآتيها نعمل ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالبعث ، وقال بعضهم : أرخ بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها ، وذلك سنة سبع عشرة ، فلما اتفقوا على التاريخ بالهجرة ، قال بعضهم : ابدأوا برمضان ، فقال عمر : بل بالمحرم ، فإنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه .

ومنها أنه رُفع لعمر صكّ محمّله شعبان ، فقال : أى شعبان هو ؟ ، الماضى ، أو الذى نحن فيه ، أو الآتى ؟ ، ثم قال : إن الاموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ، فكيف التوصل إلى ضبطه ؟ ، فقال له ملك الاهواز — وكان قد أمر وأسلم على يده — : إن للعجم حسابا ، يسمونه د ماه روز ، ويسندونه إلى من غلب من الأكاسرة ، ثم شرحه له ، وبين كيفيته ، فقال رضى الله عنه : ضعوا للناس شيئا من ذلك يتعاملون عليه ، ويضبطون به أوقانهم ، فذكروا له تاريخ الفرس ، فلم يوافق عليه ، فاستحسنوا الهجرة تاريخا .

ومنها أنه قدم رجل من اليمن فقال : رأيت باليمن شيئا يسمونه د التاريخ ، يكتبون من عام كذا ، وشهر كذا ، فقال عمر : هذا حسن ، فأرخوا ، فلما أجمعوا على جعله من الهجرة ، قال عمر : بأى شهر نبدأ ؟ ، فقال قوم : من رجب ، وقال آخرون : من رمضان ، فقال عثمان : أرخوا المحرم ، فإنه شهر حرام ، وهو أول السنة ، ومنصرف الناس من الحج ، وكان ذلك سنة سبع عشرة ، أو ست عشرة فى منتصف ربيع الاول .

ومنها أن عمر جمع الناس ، فسألهم عن أول يوم يكتب التاريخ ، فقال علي : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك أرض الشرك ، ففعله عمر .

هذا هو المحفوظ المشهور في وضع التاريخ الهجري ، ويرى بعض العلماء أنه لا تنافي بينه وبين الأول ، فإنه لا مانع من أن يسكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتاريخ من الهجرة ، وأن عمر قد تبعه في ذلك .

وذكر السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » ، لأنه من المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً ، فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمّر ، وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام ، وعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ربّه آمناً مطمئناً ، وابتدأ بناء المسجد ، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهم من فعلهم أن قوله تعالى : « من أول يوم » ، أنه أول أيام التاريخ الإسلامي ، أي أول يوم تدخل فيه النبي وأصحابه المدينة .

وإذا كانت الهجرة قد وقعت في شهر ربيع الأول ، فما هي الحكمة في تأخير التاريخ منه إلى التاريخ من المحرم ؟ وقد بينوا الحكمة في ذلك من عدة وجوه :

أحدها : أن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم ، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة ، وهي مقدمة الهجرة ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة ، والعزم على الهجرة هلال المحرم ، فناسب أن يجعل مبدأ للسنة الهجرية .

ثانيها : أن المحرم أول شهور السنة عند العرب ، وكانوا يعظمونه ، ويستأنفون فيه أعمالهم بعد انصرافهم من الحج ، أخرج البخاري في تاريخه عن عبيد بن عمير قال : المحرم شهر الله ، رأس السنة ، فيه يكسى البيت ، ويؤرخ التاريخ ، ويضرب الورق .

ثالثها : أن أول يوم من المحرم هو اليوم الذي تنفجر منه السنة وتبتدى . كما يشير إلى ذلك تفسير ابن عباس وقتادة من أن الفجر الذي أقسم به الله تعالى في أول سورة الفجر ، هو أول يوم من شهر المحرم فجر السنة .

وعلى كل حال ، فالذى يستفاد من مجموع الآثار والروايات الكثيرة الصحيحة أن الذى أشار به جعل المحرم مبدأ للسنة الهجرية هم عمر وعثمان وعلى ، والصحابة وافقوهم على ذلك .

وأما ما قيل من أنهم كانوا فى صدر الإسلام يؤرخون بربيع الاول ، فالمراد منه أن ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يؤرخون بسنة القدوم ، وبأول شهر منها ، وهو ربيع الاول ، وأما ما حدث فى زمن عمر ، فهو التاريخ بالهجرة وبالمحرم .

ويقول أهل الصناعة فى الكتابة والتحرير : إنه لا بد من تأريخ الرسائل والمكاتيب ، لأنه لا يُدَلَّ على تحقق الاخبار ، ووقوع الحوادث ، ولا يُعرَف قرب عهد الكتابة وبعده ، وتقدمه وتأخره إلا بالتأريخ .

ومن أصحاب هذه الصناعة من ينظر فى التاريخ إلى ما مضى من الشهر ، وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتب لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف ، جعل مكان مضت . . . بقيت . ومنهم من لا يؤرخ إلا بما مضى من الشهر ، لأنه واقع معروف ، وما بقى مغيب مجهول ، وأكثر العمل جار على هذه الطريقة .

والليل فى تاريخ العرب مقدم على النهار ، فإن السنين عندهم مبينة على الشهور القمرية ، فالليالى سابقة على الأيام ، لأن القمر إنما يطلع ليلا ، ولأن أول الشهر ليلة ، وآخره يوم ، ولهذا يقال فى التاريخ بأول ليلة : كتب لأول ليلة من الشهر ، أو لغرته ، أو لممله ، أو لمستهله ، وفى الليلة الثانية : كتب لليلة الثانية من كذا ، وعلى هذا القياس إلى آخر الشهر ، ويكتب فى الخامس عشر : لالنصف من كذا ، لأنه أخصر ، وفى الليلة الأخيرة يكتب : لآخر ليلة منه ، أو سلخه ، أو انسلاخه ، وكذلك يكتب فى اليوم الأخير ، وإذا كتب لآخر ليلة ، أو لآخر يوم ، علم أن الشهر كان تاما .

وكانوا فى مبدأ التاريخ بالهجرة ، لا ينعنون السنة بكونها هجرية ، ولهذا لا يكاد يوجد أثر لذلك فى الكتب العربية القديمة ، ويظهر أنهم لم يحددوا هذا النعت إلا بعد استعمال التاريخ بغير الهجرة ، فاحتج إليه للاحتراز .

الْمُنْتَفِعُونَ بِكِتَابِ الْقُرْآنِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني
المفتش بالأزهر

سأل سائل عما ورد في وصف القرآن الكريم من مثل قوله تعالى :
« هدى للمتقين » ، « وذكرى للمؤمنين » ، « وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ، عما
يفيد أن القرآن ليس له تأثير إلا على صنف خاص من الناس : هم المؤمنون
أو المتقون ، أما غيرهم فلا تأثير له عليهم ، ولا ينتفعون بهديه ، ولا تشرق على
قلوبهم أنواره : وإذا كان القرآن كذلك فهو كتاب خاص لقوم مخصوصين ،
ولا يصلح أن يكون ، عالمياً ، قادراً على هداية الناس أجمعين .

وقبل أن نجيب على هذا السؤال تتبعنا ما ورد في القرآن الكريم من مثل
ذلك ، فوجدناه على ما قرر السائل ، فإن كلمة « هدى » ، أو « موعظة » ، أو « ذكرى » ،
أو « شفاء » ، لم يوصف بها كتاب الله إلا مضافة « للمتقين » ، أو « المؤمنين » ،
أو « المحسنين » ، أو ما إليها من الأوصاف الخاصة . وإذن فما بنى عليه السؤال
صحيح ، وعلينا أن ننظر في الجواب :

إن هذا الوصف للقرآن الكريم وصف متفق مع الواقع وحقيقة الأمر
في الناس ، فليس كل إنسان مستعداً لقبول الهداية الإلهية والارتفاع بها ، فإن
النفوس تختلف ، فمنها نفوس غلبت عليها المادية المظلمة ، فصار أصحابها أجساداً
ليس للروح سلطان عليها ، وليس للمعنويات حظ فيها ، ومنها نفوس صافية
راقية تعلم أن الحياة ليست محسّسات خسب ، وتثق فيما وراء هذه المادة أكثر
من وثوقها بالمادة ، وتتقبل في اطمئنان حكم الشعور القلبي ، والإحساس
الداخلي ، كما تتقبل المراتيات أو المسموعات أو الملبوسات .

والصنف الأول من الناس أقرب إلى البهائم ، بل فيهم شبه من الجماد الذي
لا يعي ولا يعقل ، أما الصنف الثاني فهو مثال الإنسانية ، وكلما ارتقى فيه هذا

الشعور الروحي ، والإحساس المعنوي : اقرب إلى الكمال ، حتى يصل إلى
 المثل الأعلى ، في الإنسانية ، والقرآن الكريم يصف لنا الصنف الأول في كثير
 من الآيات فيقول : « أم نحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم
 إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون
 بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ،
 « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، ويقول « ثم قست
 قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه
 الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله .

وهو يبنى على هذه الطبيعة التي يقررها عنهم ، ما يذكره من انصرافهم عن
 الذكر ، والتوائهم عن الحق ، وإعراضهم عما فيه صلاحهم ، فيقول : « إنك
 لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادي العمى
 عن ضلالهم ، « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، « أفأنت
 تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ، .

وقد صور الله لنا هذه الطبيعة الجامدة في عدة آيات تصويراً رائئاً بين لنا
 أمرها أنهم بيان ، فمن ذلك قوله جل وعلا : « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي
 إلى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم
 فهم لا يبصرون ، ولا شك أن صورة المغلول الذي أحاطت الأغلال بعنقه ،
 ووصلت بعرضها إلى ذقنه ، فأقمعته - أي تركت رأسه مرفوعاً لضيقها فلا يستطيع
 له حراكا - وقد حشر في مكان ضيق قد سدت من دونه المنافذ فليس له منه
 متقدم ولا متأخر ، وغشى على بصره فهو غير قادر على رؤية ما حوله : لا شك
 أن صورة كهذه الصورة البيانية البليغة تدل على مقدار فساد الفطرة ، وجود
 الطبيعة ، ومن ذلك قوله تعالى على لسان رسوله نوح عليه السلام : « قال رب إنى
 دعوت قومى ليلاً ونهاراً فلم يزدكم دعائى إلا فرارا ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم
 جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ،
 ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم وأسرت لهم أسراراً ، فهذه أيضاً صورة
 واضحة في بيان معنى الإعراض والالتواء ، يصور فيها قوماً فسدت طبائعهم ، فلم

يتقبلوا الهدى على أى نحو جاءهم ، فإذا أسمعهم الداعى وضعوا أصابعهم فى آذانهم وإذا تعرض لهم استغشوا ثيابهم ، وإذا حاول أن يعالجهم من نواحيهم النفسية بالجهر لهم تارة ، والإعلان تارة ، والإسرار تارة ، أفسدوا عليه سائر محاولاته لإصراراً واستكباراً ، فهم كالوحوش الكاسرة ، أو التمردة العاصية ، أو النور الشرسة ، ومن ذلك قوله تعالى ، وقد صرح فيه بطبيعتهم الوحشية النافرة : « فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، إلى غير ذلك من الآيات .

أما الصنف الثانى من الناس فهو صنف طبع حساس مرهف الشعور ، فيه صفات الإنسانيه : يخاف ويرجو ، ويسمع ، ويعقل ، ويتدبر ويدرك ، وتمزه الذكرى ، وتنفعه الموعدة ، وينفتح قلبه للهدى ، وهوى فؤاده للإيمان ، وينشرح به صدرا ، ويطمئن إليه نفسا ، ولا تزيد حوادث الخير والشر إلا ثباتا ، هذا الصنف هو الذى يعده القرآن حيا ، ويوجه إليه الدعوة ، ويخاطب فيه ضميره وقلبه « إنما يستجيب الذين يسمعون » . « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب » . « إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » . « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وكما صور الله الصنف الأول بما ذكرنا ، صور الصنف الثانى فى كثير من الآيات ، فمن ذلك قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فهذه صورة المشتغل فى رياض الذكر ، تمر به آية تخويف فيقف عندها خائفا وجلا يقشع لها بدنه ، ويرتجف من هول وعيدها فؤاده ، ثم تمر به آية ترجية فيلين ويرجو ويقبل على الله ، لا يخاف ظلماً ولا هضمًا .

ومن ذلك قوله جل علاه « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، وهذه الآية فى وصف بعض النصارى وبيان استعدادهم لتقبل الحق ، والإيمان به ، لما فى قلوبهم من الرقة والخشوع ، ويقول الله تعالى فى وصف

قوم آخريين من أهل الكتاب : « ليسوا سواء » من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وكل ذلك تصوير للطبيعة الصّافية المواتية من أى ملة كان صاحبها ، فليس الأمر في ذلك خاصا بدين ، ولا مقصورا على طائفة بعينها من الناس ، وإنما هو أمر الطبيعة البشرية حيثما كانت ، وفي أى زمان وجدت .

تبين بهذا موافقة التعبير القرآني للواقع الطبيعي ، وأن القرآن حين يقول « هدى للتقين » ، وذكرى للمؤمنين ، وما إلى ذلك ، يصف الناس على حقيقتهم ، ويشير لأرباب الدعوات وأصحاب الأفكار إلى تلك الطبيعة فيهم ، حتى لا يضيعوا أوقاتهم ، ولا يشغولوا جهودهم في تطلب الماء إلا من ينابيعه ، وفي استنبات الخطى إلا من وشيجه :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابها التخل وهذه حقيقة إذا فهمت وتقررت في نفوس الدعاة والمصلحين كان لها في رسالتهم أعظم الجدوى ، وكانت لأشخاصهم نعم السلوى ، أما جدواها ففي أن تسير القافلة قدما لا تلوى على من ندأ أو شذت ، ولا تنظر من تخلف أو كل ، فإنه من الخير كل الخير للإنسانية أن تخطو في سبيل الإصلاح خطواتها غير عابثة بمن يحاولون تعويقها ، ويعملون على إنقاذها وتكجيلها ، فلتدعهم فيما هم فيه ، ولتض لطيتها راشدة قوية فسوف تحملهم بذلك على مجاراتها ، ونجذبهم ، ولو على الرغم منهم ، إليها ، وأما سلواها ففي أنها تطرد عن العاملين دواعي الحزن والأسف ، فإن صاحب الفكرة إذا جوبه بالعداوة في سبيلها ، وعوند فيها : ران على قلبه رَيْنٌ من الحزن والأسى ، فإذا علم أن الذين يعادونه ويماندونه هم أصحاب الطبائع الملتوية ، والنفوس الفاسدة . سرى عنه وذهب ما يلاقى من الأسف والحزن .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى الجدوى والسلوى جميعاً ، ذلك أنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسير في سبيله دون اكتراث بمن حقت عليهم الكلمة

« إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ، « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ، « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ، « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، ، كما أنه سلاه واستل ما في نفسه من اللوعة بمثل قوله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، « كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، .

أما بعد فإن القرآن الكريم آية من آيات الله الكبرى ، فيه للعقول تبصرة ، وللقلوب موعظة ، ولكن لمن أراد أن يذكر : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، .

سعة الصدر

هجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلي المدني الحسن بن زيد بن الحسن بن هلي بن أبي طالب ، وهو من هو علماً وعملاً وشرفاً ، فقال فيه :

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول

فاتفق أن تولى الحسن المدينة ، فأثاه أبو عاصم الأسلي المذكور ، متذكراً في زى الأعراب ، وأنشده قوله فيه :

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل منذ غاب عنها أبو حسن تعاديهما الدهور
هما أبواك من وضعا فضعه وأنت برفع من رفعا جدير

فقال له الحسن : من أنت ؟ فأجابه : أنا الأسلي .

فقال له الحسن : إذن حياك الله ، وبسط له رداءه وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يلبه بكلمة عما قال فيه .

الحج من الناحية الفلسفية

للدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية أصول الدين

الحج ، كما نعلم جميعا ، ركن من أركان الإسلام ، وشعيرة يتطلب القيام بها البذل من المال والنفس ، وعبادة لا يتم للقادر عليها دينه إلا بالاضطلاع بها ، حتى ليُروى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا » . وليس من همّي الآن بيان ما للحج من مقدمات ومعالم وشروط لا يتم إلا بها ، بل موضوع الحديث هو الحج باعتباره عملا اجتماعيا تدعو إليه الفكرة الفلسفية ، لو لم يدع إليه الدين .

من تحقيق د. محمد رشاد سليماني

الإنسان مركب من عنصرين : أرضي وهو الجسد ؛ وسماوي وهو الروح . وقدما قام النزاع الحاد بينهما كما يكون بين الشيثين أحدهما للآخر ضد وعدو . والناس في ميلهم لهذا العنصر أو ذاك بين مفرط ومفرط ، إلا من كان حكيما فعرف لكل حقه وأرضاه بقدر . ولم ترتطم الإنسانية في هذه الغمرة التي نلسمها هذه الأيام إلا بسبب انحيازها للناحية المادية وانغماسها فيها .

لهذا ، كان لابد من عمل يلفتنا بقوة عن هذه الحياة بما يستلزمه من إعراض عن زينة الدنيا وطيباتها ، وبما يوجب من مساواة تشعر الغنى منا بأنه أخ لمن يعيش بينهم من عبيد الله لا يتميز عنهم في ملبسه ومظهره وعامة أحواله .

هذا العمل هو الحج الذي ، كما يقول الغزالي ، يعتبر في الشريعة الإسلامية عوضا عن الرهبانية في المسيحية ، إذ فيه ما فيه من كبت الشهوات والبعد عن الدنيا والإقبال على الله والسمو بالروح ، وقد سلم مما يلزم الرهبانية من عنق وإرهاق دائمين .

ثم ، في الحج مع هذا ، زيارة البيت العتيق الذى أضافه الله تعالى إلى نفسه لشرفه ، وجمع لا كبر هدد من المسلمين في صعيد واحد يؤمون غرضاً واحداً ، ولكل من هذين حكته وأثره البعيد في حياة الأمة أفراداً وجماعات . إنما تشق الأمة إذا تناكدت وتفرقت بها السبل ؛ والإسلام ، الذى حث المسلمين على أن يأتروا بينهم بمعروف ، جعل لهم مؤتمرات : بعضها يومى وهو الصلاة جماعة ، وبعضها أسبوعى ، أوسع وأعم من سابقه ، وهو صلاة الجمعة ، وبعضها كل عام على نحو أشمل وهو صلاة العيدين . وأخيراً المؤتمر الأكبر وهو الحج الذى يجب أن يشهده كل مسلم قادر ، مرة واحدة على الأقل في حياته .

ومن الناس من لا يفهم الحقائق إلا بمثلة ، أو مرموزاً لها بمثل محسة ، فكان من الحكمة أن يكون من شعائر الحج الطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود ، رمزاً لما يجب أن يكون عليه المسلمون من وحدة في الهدف واتحاد في التوجه لله . إن البيت الذى أمرنا بالطواف حوله ، هو بيت الله ، الذى جعله مثابة للناس وأمنأ ، وفي الطواف به تشبه بالملائكة الخافين بالعرش ، الطائفين به قانتين مسبحين لا يفترّون ، وفي ذلك ما فيه من سمو للروح وعروج بها إلى السموات العلى . ونفس الحلول بالبيت ورحابه ، تمهيد لطيب لرؤية صاحبه جل وعلا ، متى صفت النفس ، فصارت أهلاً لهذه السعادة القصوى ، وفي استلام الحجر من المسلمين كافة يعة منهم جميعاً لله عز وجل على كل ما هو حق وجميل وخير وفضيلة .

أليس هذا الحجر المقدس ، كما جاء في الحديث الشريف ، يمين الله يصافح بها خلقه ؟ ، إن في استلام هذا الحجر ، وهذا ما يرمز له ، حافزاً قوياً على وفاء الحاج بما يماهده الله عليه من بُعد عن الشر ، وحب للفضيلة ، وحرص على عمل الخير .

وفي الحج مع هذا كله ، دلالة قوية على الثقة بالله واستجلاب لدونه . تعزم على الحج المرأة الضعيفة بطبيعتها والرجل الضعيف لمرضه وسنه الكبيرة ، فما هو إلا أن يبدأ من هذه حالته السعى له حتى يجد من نفسه القوة ومن غيره المساعدة ، وحتى يعود صعب الأمر ذلولاً ، ففتحاً له السبل ويمضى لما أراد دون عقبات

الحج من الناحية الفلسفية

٣٥

أو صواب . ذلك بأنه نزع عنه رداء الغرور بنفسه وحوله ، وألقى نفسه في سبيل الله واثقاً به ، متكلاً عليه ، معتداً به وحده ، فكان له ما أراد .

والحج ، بعد ما نعرف من الأعمال الظاهرة ، له حقائق باطنة يجب النفوذ إليها ، وأحوال نفسية يشعر بها الحاج وينعم بها . إنه ليعجني في هذا حديث جرى بين الشبلي رضوان الله عليه ، وبين صاحب له . كان من هذا الحديث أن الشبلي — وهو متصوف حرى بهذا الوصف ، وليس كأدعياء التصوف في هذه الأيام — يرى أن من عقد الحج لله ، ولم يفسخ بهذا العقد كل عقد يخالفه ، كان كأنه ما عقد الحج ونواه ؛ وأن من تجرد من ثيابه للإحرام ، ولم يتجرد مع هذا من المعاصي ، يكون كأنه ما تجرد من ثيابه ؛ وأن من لبى ، ولم يذق عن الله جواب تلييته ، يكون كأنه ما لبى ؛ وأن من أشرف على مكة ، فلم يشرف عليه حال من الله تعالى ، يكون كأنه ما دخلها ؛ وأن من صافح الحجر الأسود ، فلم يجد أثر الأمن ، كان كأنه ما صافحه أو لمسه ، لأن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ، ومن صافح الله صار في أمن وسلام منه ؛ وأن من رمى الجمار ، فلم يرم بهذا جهله ولم يردد به علماً يظهر عليه ، كان كأنه ما رمى ؛ وأن من مضى من مكة إلى المدينة فزار الروضة الشريفة ، ثم لم يكشف بشيء من الحقائق ، ولم ير زيادة في الكرامات عليه ، كان كأنه ما زار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الحجاج والعمار زوار الله ، وحق على المزور أن يكرم زواره » . وهكذا ، يجد من الشبلي ، رحمة الله عليه ، تحليلاً دقيقاً طريفاً للحج وأعماله ومشاعره ، تفهم منه كثيراً من أسرارهِ وفلسفته .

ومن الحق أن نوافق الشبلي وأمثاله في نظرهم للحج وحكمه وأسراره ، هذه النظرة الفلسفية العالية . إن منا من يبذل في سبيل السفر للحجّاز كثيراً من المال ، ويتعب نفسه بكثير من المشقات ، وذلك في سبيل أن يظفر بقلب حاج ، ينال به من عروض الحياة الدنيا ! ومنا من يعيش أيام الحج في تلك البلاد المقدسة والأجواء الروحية السامية ، ثم لا يتذوق شيئاً منها ، فيعود أغلظ قلباً مما ذهب ! ومنا أخيراً من عرف يقيناً خطر ما هو مقبل عليه ، وعلم

أنه يهجر الأهل والوطن والشهوات واللذات في سبيل الله وزيارة بيته الحرام ، وإذا فهو يقدر البيت قدره ويرى لربه عظمتة وجلاله ، فيخلص النية له ويرعاه في كل خطوة له وعمل ، ويجاهد نفسه وهواه حتى يرجع لبلده خيراً عما ذهب ، ويعود لأهله وقد تقبل الله حجه ورضيه وأرضاه .

ذلك ، والحج للكعبة وإن كان من خصائص أمتنا الإسلامية ، فإنه ، باعتباره قصداً إلى مكان مقدس ، عرفته الأمم المتمدنة في العصور المختلفة : عرفه اليونان فكانوا يحجون قبل المسيح عليه السلام إلى معابد مقدسة لديهم ، وعرفه الهنود والصينيون القدماء ، ثم عرفه اليهود والمسيحيون الذين لا يزالون يحجون إلى بيت المقدس .

وبما يجدر ملاحظته أن الحجاج من هذه الأمم المختلفة وغيرها ، يلتزمون أثناء الحج التقشف والزهد في هذه الدنيا كما يلتزم ، ليشعروا أنفسهم شيئاً من الروحية العالية ، وطلباً لمرضاة معبوداتهم وطمعاً في ثوابها . وليس هذا التوافق من الأمم المختلفة بمعجيب ؛ فالإنسان هو الإنسان في كل زمن ، وإنه ليحس في قرارة نفسه : الحاجة للسمو الروحي والتقرب من المعبود أو من الرمز الذي اتخذ لهذا المعبود . وهذا السمو وهذا التقرب لهما سبل عدة ، من أهمها تجشم التعب وبذل المال في سبيل الحج للكان المقدس الذي يراه الصق البقاع بما تحذه من إله .

هذا هو خطر الحج عند الأمم المختلفة لما يعتبرونه مقدساً من مكان ، فكيف عندنا وهو قلبية لنداء أبنينا إبراهيم الخليل عليه السلام وإجابة لرجائه ربه إذ يقول : « رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » ! وهو مع ذلك استجابة لأمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين أمره الله بقوله : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » . فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآيات صعد أبا قبيس فقال : « يا أيها الناس حججوا بيت ربكم ، فأسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال

وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب عن سبق في علمه تعالى أنه يحج ، من الطائفتين والقائمين والركع السجود .

إنى أحاول أن أتصور ديننا خلا من الحج لمشهد مقدس وبقاع طاهرة ، فلا أكاد أظفر إلا بصورة باعثة لدين ميت لا حياة فيه ، وقاصر عن بلوغ الكمال بمتبعيه . إنه من النافع كل النفع أن يصلى المرء ، فى هذا رياضة للجسم والروح ؛ وحسن وجميل أن يصوم ، ففيه تعويد على الصبر وترقيق للنفس وفائدة للجسم ؛ ومن الخير للمجتمع أن يؤدي أفرادُه الزكاة على اختلاف ألوانها ، فى هذا اقتلاع للحد والحق من قلوب المموزين على القادرين ، وعون للفقراء على متاعب الحياة ، وإغلاق لكثير من السجون ، وفتح لغير قليل من المنشآت الاجتماعية . ولكن ، هذه العبادات كلها لا تغنى عن التزام الأمة للحج لمكان واحد وقصد غرض واحد ، والعيش فترة من الزمن فى تجرد عن الحياة ومفاتها ، وإقبال على الله وحده ، واستعداد لتلقى فيضه ورحمته ما دنا قد سمعنا إلى بيته مخلصين النية له .

من ذلك كله ، نعرف أن الحج عمل يأمر به العقل قبل أن يوحى به الدين ، وأن لكل عمل من أعماله وشعيرة من شعائره حكمته وفلسفته ، وأن ديننا صحيحا لا يمكن أن يقوم بدونه ، وأن أمة من الأمم لا يسعها أن تستغنى عنه . وحسبنا دلالة على هذا ، ما أشرنا إليه من أن الأمم التى خلت عرفته وعرفت له خطره ، وأن الأمم التى تعمر العالم اليوم — على اختلاف مللها ونحلها — تعدُّ الحج لمكان ما ، أمراً مقدسا فيه رياضة للجسم وسمو للنفس وخير للامة عامة . وإن أمراً تجمع عليه الأمم فى العصور الخالية والأيام الحاضرة ، رغم ما يفرق بينها من اختلاف فى الجفس والدين والتقاليد ، لهُو أمر لا يقادر قدره ولا يكاد يُدرك كل ما فيه من جمال وخير وفضيلة .

من أجل هذا ، أدعو الله أن يوفقنا لهذا الخير مرة بعد مرة ، وأن يجعل حج من يحج من المسلمين عامّة حجاً مبروراً ليس له جزاء إلا الجنة كما جاء فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ؟

المهاجرون والأنصار

أفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم علي أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الدين الإسلامي يطلب إلى المسلم الفرار بدينه عن الفتن ، والنأي بعرضه عن الشبهات ، والبعد بنفسه عن مواطن الأذى ، خصوصاً إذا كان ذلك لا يجر إلى عقي طيبة ، ونهاية محمودة ، وخاتمة مشكورة .

ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم ظل بمكة يتحمل هو وأصحابه العنت ، ويتعرض للمالك ، ويقدم نفسه بنفسه للدوت الرخيص ، والقتل الحقيق ، الذي كان يستهدف له هنالك ، لما قامت لدعوته قائمة ، وظلت القوضى ضاربة أطناها في ربوع الجزيرة كلها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

على أنه ليس من حصافة العقل ، وحزامة الرأي ، ونضج التفكير ، أن يقف الأعزل لشاكي السلاح ، أو ينازل الضعيف القوى ، أو يصول أفراد قليلون أمة بأسرها لا تزال فيها جاهلية السفهاء ، وطيش المأفونين .

ولهذا ، فقد كان الانتقال من مكة إلى المدينة بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة - كما يقولون - أو الخطط الموضوعة في نظام الحرب ، وأساليب الهجوم ، والذي يعرف أن المسلمين تكتلوا بعدها للغزو ، وتجمعوا للجهاد ، وباعوا أنفسهم لله ، يدرك إلى أي مدى غيروا وجه الزمن ، وحولوا معالم الدنيا ورسموا حدود الحياة وأبعادها ، واقترحوا على الدهر ما يجب أن تكون عليه نظمه وتقاليده .

ولولا أن المهاجرين تسللوا خلسة ، وخرجوا مباغتين ، لضرب عليهم المشركون الحصار ، وحالوا بينهم وبين الخروج إلى يثرب ، لأنهم لا يشكون في أن العدو الذي يفارق ميدان القتال ، ربما كان فراره خداعاً أو تحفراً للوثوب .

وفي التاريخ ما يدل على أنهم لم يهاجروا لهم صفراً ، أو تهدأ لهم عاصفة ، أو تخمد لهم جذوة ، حتى إذ عدوا أن محمداً قادم إلى مكة بعد تسع سنوات يفتحها ، ويبدط سلطانه عليها ، تقدموا إليه بعنوان : أخ كريم وابن أخ كريم ، وأبى أدبه - حينئذ - إلا أن يقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

هذا تلخيص ذلك الحادث الذي يردد الناس الكلام عنه طويلاً ، والتعليق عليه مستفيضاً ، وفي خلال هذا وهذا يفوتهم أن يهتدوا إلى الصواب ، أو يصيبوا أكباد الحقيقة .

والطريف الجديد في هذا الحادث أنه تنحصر عن لون من ألوان التنافس الديني ، والعصبية غير المرذولة . جمل الأذهان تفتتح إلى نعمة لم يكن لهم بها عهد سابق ، تلك هي كلمة : المهاجرون والانصار .

ففي المدينة لقيت هذه الرسالة مرتعاً خصيباً ، وجواً مناسباً ، وبيئةً صالحةً ، ونفوساً تقتديها بدمائها وأموالها . ولقي هؤلاء الذين تركوا ديارهم وزروعهم وثمارهم ، أهلاً بأهل وجيراً ناجحاً ، وتسابق الأوس والخزرج في الإحسان إلى : اللاجئين ، وامتدحهم القرآن بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

وتمكننت منزلهم عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وزادت محبته لهم ، وثقته بهم ، وأطعته إلهيم ، إلى درجة أنه كان يحرمهم من الشيء ويقول : لا تأكلوا من ثمره ، وغيره أحب إلى .

على أن أمل مكة لا يقلون في الفضل ، ولا ينقصون في المزية ، فإنهم احتضنوا الدعوة في مهدها ، وتهدؤوا في بادية أمرها ، وجعلوا شمعها تسطع ونورها يضئ ، وكلتها تدوى ، وصوتها ينبعث ، ومنهم السابقون الأولون .

ورجالانهم المرموقون أمثال الخلفاء الأربعة دعموا البناء ، ورفعوا اللواء ، وقفى العرب على آثارهم ، ومضوا على سننهم ، خصوصاً عمر الذي استجاب الله به دهوة الرسول : اللهم انصر الإسلام بأحب الرجلين إليك .

وإذا كان في الحديث ، الأنصار كرشى وعيتى ، واستوصوا بالأنصار خيراً ، والله الله في الأنصار ، ولا يحبهم إلا مؤمن ، وغير ذلك مما يدل على أنهم بلغوا شأوا عظيماً ، فإن القرآن — كذلك — يذكر المهاجرين أولاً ، ويعدهم بالثواب الجزيل ، والمنزلة الرفيعة ، والنعيم المقيم ، ويجعل للهجرة أجر الجهاد والاستشهاد .

وقد أغرى ذلك كله فريقاً من أولئك جميعاً أن يشغلوا زمناً طويلاً بالمفاضلة بين المهاجرين والأنصار ، مفاضلة فيها شيء من المبالغة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يقبلاً بما يكون وراء هذا الجدل من الخطأ في الرأي ، والخطأ في التقدير حين يقول : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وإذا ذكرتم أصحابي فأمسكوا !! .

وما كان يدور بخلد إنسان أن المسلمين الذين عاصروا الوحي وأدركوا نزول الآيات ، وتشربوا بنور وجه الكريم تكون فيهم نزعة المسكاثرة بالفضل ، والمفاخرة بالطاعة ، إلا أن الذي يدري قرب عهدهم بما كان عليه أسلافهم من هذا الخلق الذي كانوا يقيمون له الأسواق ، ويختارون المحكمين ، يقول : شئنة أعرفها من أخزم ،

وفي اليوم الذي اختار الله فيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة يتحدثون في انتخاب الخليفة الذي يرعى شؤونهم ، ويقضى بينهم ، ويرد عدوانهم ، ويكبح جماحهم ، ويقوم عليهم الحدود ضربوا على هذه النغمة : المهاجرون والأنصار ، . وأخذ أبو بكر رضي الله عنه يكيل الثناء للفريقين ، ويغشق في المديح للطرفين ، عساه أن يحمد نيران الفتنة ، ولولا ما كان له من الصحبة للرسول ، وأنه خصه بالنبابة عنه في الصلاة بالمسلمين في مرض موته ، وأن عمر بن الخطاب سارع إلى مبايعته فبايعه كثيرون لكانت الحال غير الحال : كفانا الله شر الخلاف ، ورحم الأنصار والمهاجرين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

مِنْ تَوْجِيهَاتِ الْإِسْلَامِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى
المفتش بالأزهر

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ،

بنفسى وأهلى أولئك الذين تجردوا من أنفسهم ولذاتهم ، ومن أموالهم وأبنائهم ، فباعوا كل ذلك لله ، وبذلوه فى سبيل الله ، إنهم لجديرون بأن نغاطىء الرؤوس إذا ذكروا ، وأن تلين لعظمة نفوسهم الجلود والقلوب ، أولئك الذين هدام الله . وأولئك هم أولو الألباب .

قد عرف الإسلام كثيرا من دؤلاء المجاهدين الصابرين وعلى رأسهم سيد الأمة وأستاذها ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى كانت فيه الأسوة الصالحة الكريمة لكل من يجاهد فى سبيل الله ، ويشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، لقد كان يؤذى فى ذات . ولأه . ومن أخلص أهليه وذوى قرباه ، فى غـدوه ورواحه ، وفى مسائه وصباحه .

ولقد أضافت عليه قريش ، وتألبت عليه العرب ، فما وهن لما أصابه فى سبيل الله وما ضعف وما استكان ، ولا زاد على أن قال كلمته الخالدة المدوية فى نضام هذا الوجود ، الناصعة المشرقة فى صفحات البشرية والخلود : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته . »

ولقد كان لأستاذه العظيمة فى العزة الإسلامية والكرامة الأدبية ، والتمسك بالحق أثرها الخالد العظيم فى نفوس أصحابه وأتباعه ، منذ قام الصراع بدعوته الكريمة بين الحق والباطل ، ومنذ شمرت قريش عن ساعدها لتفتن فى أذى من عرف السبيل إلى الدين الحق ، ووثبت كل قبيلة على من فيها من

المسلمين ، يعذبونهم بشتى الألوان وصنوف الموان . فهذا باقى عبده الحبشى ، بلالا ، على الرمل فى الهجير تحت الشمس المحرقة ، ويضع على صدره الحجر ويسله للوت وهو يقول ، أحد أحد ، ثم يمر به ورقة بن نوفل فيرثى لحاله ، ويبكى له ويقول : والله لئن قتلته قريش لاتخذنه حنانا ، ثم يشتريه أبو بكر فيعتقه كما عتق كثيرا من الموالى قبله وبعده ، منهم جارية لعمر بن الخطاب قبل إسلامه ، وهذه امرأة أخرى عذبت أشد العذاب حتى ماتت ، لاتصرف عن دينها الحق ، ولا تتحول عن مبدئها الصدق ، وهذه وهذا ، ومن إليهم من المعذبين فى ذات الله وفى سبيل مرضاته ، وابتغاء وجهه الكريم .

وعزز الإسلام مواقفهم . ووجه الناس جميعا وجهتهم إذ يقول : أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم : مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله . ألا إن نصر الله قريب ، بنفسى وأهلى أولئك الذين اشتروا الله سبحانه أنفسهم وأهوالهم ، بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى النوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

كل تضحية يضحي بها المؤمن فى سبيل الله فهى سعادة له ، وإعناق لنفسه ، وبرهان على أن الإيمان الصحيح خالط قلبه . وكذلك الإسلام حين تخالط بشاشته القلوب .

التمسك بالحق ، والبقاء على المبدأ القويم ، والكلمة الصادقة العادلة عند السلطان الجائر ، وعدم الرضا بالضميم ، ولا المبالاة بما يصيب المؤمن فى الثبات على مبدئه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على ما يصيب فى سبيله وما يقع من تضحيات لأجله : كل ذلك شراء للنفس ابتغاء مرضاة الله . ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله . ولا يظأون موطئا يغيظ به الكفار . ولا يبالون من عدو نبلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ليت شعرى متى نرى فى أمتنا هذه ، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

هم الذين تعمّر بهم الأرض ويستقر السلام والأمن وترضى السماء ، وتم السعادة والرخاء .

أما أولئك المنافقون ، الذين يلقون هؤلاء بوجه هؤلاء بوجه ، ويتجملون لكل من يلقون ، فيعاملون الجائر المقيم على جورهِ معاملة المعاونة والصفاء ، ويقابلون التقى المفرق في نسكهِ مقابلة المجاملة والرياء ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويكتمون الحق وهم يعلمون ، فانهم شر وبلاء على هذه الأمة أكثر من أعدائها ، وهم الشؤم على الحياة والمجتمع ، وهم الذين يغفلون شركة الجماعة ، ويغفلون أيدي أهل الحق والطاعة ، غناء كغشاء السيل ، ما يبالي الله في أى واد ملكوا ، ولا من أى أبواب الجحيم ولجوا .

إن شراء النفس ابتغاء مرضاة الله فريضة محكمة ، وسنة قائمة ، وعزيمة صادقة ، يجليها الجهاد الصادق لإعلاء كلمة الحق ، وإصلاح المجتمع الذى يعيش فيه المرء ، وإن يكون ذلك إلا بعد أن يجاهد المؤمن نفسه أولاً ، ليحصن إيمانه وليحفظ قلبه ولسانه ، وليستعمل جوارحه فى الخير وللخير ، فيجعلها كلها لله وبالله ، لا يضمن بصالحه ، ولا يدخر وتسمّاً فى منفعة ، ولن يكون ذلك أيضاً إلا بعد جهاد الشيطان والانتصار عليه ، حتى يسلم المجاهد من عبثه به ، فيعصى أمره ، ويكذب وعده ، فإنه متربص ببنى آدم ، يمدم وينهم وما يمدم الشيطان إلا غرورا ، .

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم ، .

وإن فى مجاهدة الشيطان لأكبر قوة للنفس ، ومناعة للقلب من الامراض الفتاكة التى تعميه عن إبصار الحق ، وتفتره عن توجيه الجوارح فى الخير . .

« ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، .

وإذا تم جهاد النفس والشيطان ، وما يلحقهما إلا ذو حظ عظيم ، فقد سهل

جهاد الكفار والمنافقين وأهل الزيغ والمارقة ، واستطاع المؤمن أن يعيش كريماً عظيماً ، ويدعى بذلك في ملكوت السماء . . .

ولقد ذكر الإمام العالم الصوفي ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد ، أن جهاد النفس على أربع مراتب :

١ — جهادها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذي لا فلاح بدونه ولا سعادة إلا به .

٢ — جهادها على العمل به ، فإن العلم وحده إن لم يضرها لم ينفعها .

٣ — جهادها على الدعوة إليه وتعليمه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى .

٤ — جهادها لتصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق في سبيلها .

فن استكمل هذه المراتب فهو من الربانيين .

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان : كابتور علوم ربي

الأولى : دفع ما يلقي إليه من الشهوات والشكوك في الإيمان ، وذلك يثمر اليقين .

الثانية : دفع ما يلقي من الإرادة والشهوات . وذلك يثمر الصبر .

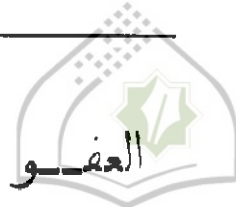
واليقين والصبر هما اللذان رفع الله بهما من رفع من عباده ، كما يشير إليه قوله . . . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون . . .

فن استطاع أن يقوم نفسه ، وأن يزرع شيطانه فقد اعترى بالله ، وارتفع عن كل من سواه ، يقول الحق ولو على والديه والأقربين ، ولا يكتم الشهادة ، وينصر أولياء الله مهما تخلص عنهم سواه ؛ ويخذل أولياء الشيطان مهما تنافس الناس في القرب منهم ، الضعيف قوى عنده حتى يأخذ له حقه ، والقوى ضعيف عنده حتى يأخذ الحق منه . يعتمد جاره وعشيرته وصديقه بإخلاص وطيب نفس ،

ويجد في مصالح المحتاجين . وإغاثة الملهوفين . نفسه منه في عناء ، والناس جميعاً
منه في راحة .

ويعجبني من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام في كلمة لأخيه عقیل :
، وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله ،
لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، ولا تحسب ابن أهلك ،
ولو أسلته الناس ، متضرعاً متخشعاً . ولا مقرأً للضميم وإها ، ولا سلس الزمام للقائد ،
ولا وطيء الغنم للراكب : ولكن كما قال أخو سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فأنتى صبور على ريب الزمان صليب
يعز على أن ترى بي كتابة فيشمت عاد أو يساء حبيب



لما دخل المأمون بغداد أحضر (دُعَيْلَا) الشاعر بعد أن أعطاه
الآمان ، وكان قد هجاء وهجا أباه ، فقال له : يا دُعَيْل (من الحضيض الأوهـد)
يشير المأمون إلى ما قاله فيه من قصيدة هجاء بها .

فقال دُعَيْل : يا أمير المؤمنين قد عفوت عمن هو أشد جرماً مني . وقد أراد
المأمون من اللفظين اللذين واجه الشاعر بهما أن يذكره بالقصيدة التي هجاء بها
ومنها قوله يخاطب المأمون :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول جمولة واستنقذك من الحضيض الأوهـد .

نوه له في هذا البيت بما قام به طاهر بن الحسين من قتل أخيه محمد بن الرشيد
وتوليته المأمون مكانه واستنشده هذه القصيدة . فاستعفاه ، فقال : لا بأس عليك
وقد رويتها ، وإنما أحببت أن أسممها منك . فلما أنشده إياها وانتهى إلى قوله منها :

بنات زياد في القصور مصونة وبنت رسول الله في الفلوات

بكي المأمون وجدد له الآمان ، وأحسن له الصلة .

دعاء مستجاب

لفضيلة الأستاذ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

ليس في تاريخ الإسلام كله صفحة أبلغ في الأسى والأسف ، وأدعى إلى الشجن والألم ، من تاريخ الأندلس . ففي الأندلس وحدها طوى الإسلام بساط ممدود ، ودالت دولة كبيرة ، وبادت أمة عظيمة ، ونحيت حضارة زاهرة . ولم تبق ثمة من تلك الصفحة الباهرة سوى أطلال دارسة ، وذكريات حزينة ، تثير في أغوار النفس بالغ الحمرات ، ونحفر في قلب كل مسلم أعماق الجراحات .

فند انفرط عقد الخلافة ، وشت شمل الوحدة ، ودبّ ديبب العصبية والفرقة ، واستبدت بكل فرد شهوات الحكم ونزوات السلطان ، وزال عن الكبرياء ذلك السلطان القاهر الذي خضعوا له منذ عهد عبد الرحمن الناصر ، اضطرب أمر الدولة وتحاذلت سواعدها ، ومادت أركانها . وصارت بعد أن أبى عامر نهبا مشاعاً يتجاذبه الخلاقف من ملوك الطوائف ، فهاز كل ما استطاع من البلاد ، وأخذت المدن الكبرى تستقل عن قرطبة منذ سنة ٤٠٤ هـ : تغلب قواد البربر في الجنوب ، وكبراء الصقالبة في الشرق ، واستقل بالنواحي الأخرى أمر كبيرة من العرب . وكان أول المتغلبين بنو ذى النون في طليطلة ، ثم كان بنو هود في سرقةطة ؛ وبنو عباد في إشبيلية ، وبنو الألفطس في بطليوس ، وبنو جمهور في قرطبة .

وهكذا وثب المتغلبون على أشلاء الأندلس يقتسمونها ، وقامت الدويلات في المقاطعات والمدن ينافس بعضها بعضا ، وتحاول كل واحدة أن تنتزع ما بيد الأخرى ، ووجد عدو الأندلس الخالد — أسبانيا النصرانية — فرصته السانحة ،

فأخذ يؤلب بعض الدويلات على بعض ، وملوكها يرتمون في أحضان النصارى ، ويلتمس كل مخالفتهم على خصمه ، حتى انتقص النصارى البلاد من أطرافها ، وتوغلوا فيها إمارة بعد إمارة ، إلى أن طووا صفحة الإسلام بعد ثمانية قرون ، وخرج آخر جماعة إسلامية جلت عن الأندلس سنة ١٠١٧ هـ بعد ما رأوا مصارع إخوانهم ونفيهم وتشريدكم . وتوالت السنون ، ومرت الأيام ، والمأساة تحز في نفس كل مسلم ، وتتجدد في صدر كل عربي ، وكأنه في موقف أبي الحزم ابن جمهور حين وقف على قصور الأمويين وقد تقوضت أبنيتها ، وعوضت من أنيسها بالوحوش أفنتها ، فقال :

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك العزاز علينا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أين (١)

تولى أبو الوليد بن جمهور أمر قرطبة بعد أبيه فيمن تولوا الأمر واستقلوا بالمدن الكبرى من ملوك الطوائف ، فلما أدركه الإعياء وألحت عليه الشيخوخة ، ترك الأمر لابنه عبد الملك ، وأسلمه الزمام . فلما طمع يحيى بن ذى النون في قرطبة ، على عادة هؤلاء الملوك ، وقد توفرت دواعي الطمع من الانحلال والفرقة ، وأرقته الرغبة في الاستيلاء عليها فيمن تورقه من المتربصين ، أنشب مخالبه فيها فاستجار عبد الملك بالمعتمد بن عباد المتغلب على إشبيلية ، فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث كان هو الآخر متبها بقرطبة حتى جلا عنها ابن ذى النون بأسا . ولكن ما انقشعت سدة الليل حتى هلك العباديون الحريم . خرج عبد الملك لكي يشيعهم ويشكرهم على حمايته فلم يرعهم إلا لإحداقهم بقصره وارتفاع أصواتهم بالبراءة من أمره . وقبض عليه وعلى سائر أهله ، وأخرج أبوه الشيخ أبو الوليد مفلوج الشدق ، مائل الشق ؛ فلما وسط به فطرة قرطبة خارجاً منها على هجين رفع يديه إلى السماء وأخذ يبتهل : اللهم كما أجبت الدعاء علينا فأجب لنا ، (٢) .

(١) مطمح الأنفس ص ١٧ والذبح ص ١ ص ٢٤٩ .

(٢) عن الذخيرة لابن بسام ص ٢ ص ١١٤ وما بعدها .

ترى هل استجاب الله هذا الدعاء ؟

كان المعتمد هذا أكبر ملوك الطوائف وأنداهم راحة ، وأرحبهم ساحة ، وكانت دولته كما يقول أبو بكر الداني أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد ، سعة مكارم ، وجمع فضائل ؛ وكانت حضرته ملتقى الرجال ودوم الشعراء ، وكان ذكي النفس ، عزيز الأدب رقيق الشعر ، اجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله ^(١) . أما ترفه وإمراؤه وبذخه فشيء يسمو على الخيال ، ويتقاصر دونه افتتاحان القصاص . قالوا إن جاريته ، اعتماد ، رأت يوماً نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين ، فاشتت أن تفعل هي وجواربها مثل هؤلاء النسوة ، فأمر المعتمد بالمسك والكافور وماء الورد ، وصير الجميع طيناً في القصر ، وجعل لها قرباً وحبالاً من إبريسم وخرجت هي وجواربها تحوض في ذلك الطين ^(٢) .

أما نهايته فكانت من أجمع الهيايات ، وكانت ظروفها على هذا النحو الذي سلكه هؤلاء الملوك من الرغبة في الاستبداد بالملك ، وحوك الدسائس ، ونهين الفرص ، والاستعانة بالأجنبي .

طمع الأذفونش في بلاد المعتمد ، فأرسل إليه يتهدده ، فضرب المعتمد الرسول وقتل من معه ، فتأهب له الأذفونش ، فاستعان المعتمد بالأمير يوسف ابن تاشفين ، فتم له النصر . ولكن دعاء أبي الوليد لا يزال يتردد في أطباق السماء ، فسلكا كان المعتمد ناراً حين استجار به أبو الوليد من رمضان ابن ذى النون ، كان يوسف بن تاشفين ناراً على المعتمد من رمضان الأذفونش ، فقد غدر بالمعتمد وانتزع البلاد من أبنائه ، وقتل ابنه الظافر المتولي زمام قرطبة المغضوبة ، في حالة مؤثرة وصفها صاحب القلائد ، ثم ابنه المأمون كذلك . وحوصر المعتمد بأشبيلية وقبض عليه واعتقل بمدينة ، أغمات ، وأودع ذل قيدها وظلام سجنها ، وشرّد أبنائه ، وذلت بناته ، وتحطم ملكه الشاخ ، وانطوى بساط عزه ومجده .

دخلت عليه بناته في سجنه يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة في أغمات ،

(١) نفح الطيب ص ٢٠ ص ١١٢٤ .

(٢) المعجب - للدراكني .

حتى إن إحداهن غزلت لبنت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه ، فرآهن المتمد في أطمار بالية وحالة رثة ، فصدعن قلبه فقال :

فيا مضى كنت بالاعباد مسرورا فساءك العيد في أغمت مأسورا
تري بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطعيرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في التراب والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
من بات بعدك في ملك يمر به فإتما بات بالأحلام مغرورا

وكان القدر كان يسخر من عبثه مع جاريته (اعتماد) فردّ بناته إلى الطين الحقيقي : طين الريفيات حاملات الجرار ، لاطين المسك والعنبر والكافور :

يطأن في الطين والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
أجل :

أرغب أن أعيش أرى يناني عواري قد أضر بها الحفاء
خوادم بنت من قد كان أعلى مراتبه إذا يبدو النداء
ولكن الدعاء إذا دعاه ضمير مخلص نفع الدعاء

ويدخل عليه ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الأسود ، وهو لا يطيق إعمال قدم ، فلما رآه بكى وقال :

قيدي أما تعلمني مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرني فيك أبو هاشم فيبتني والقلب قد هشما
ارحم طفيلًا طائشا له لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله جرعتن السم والعلقما

وما زال يرسل من زفراته ، ويسكب من عبراته حتى مات بالسجن سنة ١٨٨٨ هـ ، بعد أن صدع القلوب بأناته الكسيرة ، وهزّ النفوس بمواجهه الالمية ، فما أمر الهذلة بعد العز ، وما أقسى الشقاء بعد النعيم ! . وقف ابن اللبانة في جماعة من الشمراء على قبره في يوم عيد ، والناس عند قبور أهلهم ، فأنشد بصوت عال :

أهل النار يخضمون

لفضيلة الأستاذ علي محمد حسن العماري
مبعوث الأزهر في السودان

نعوذ بالله من النار ومن خصوماتها ، وانها لخصومات عنيفة لا عهد لأهل الدنيا بمثلها ؛ فهي خصومات بين السادة والمسودين ، بين الاتباع والمتبوعين ، ظلم الجميع أنفسهم فرأوا العذاب ، فتهربوا المتبوعون ، وتندم التابعون .
وهذه قصة عرض لها القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فبين في وضوح وجلالة حال أولئك الكبراء الذين حملوا أوزارهم ، وأوزار الذين أضلهم بغير علم ، وحال أولئك الضعفاء الذين صغرت نفوسهم ، وسخفت عقولهم ، وذلت أراذلهم ، فانقادوا لكبرائهم ، يؤمنون بهم ، ويحبونهم كحب الله أو أشد حبا ، ويعتقدون أنهم سيعملونهم على أجنحتهم يوم يحشر الناس حفاة عراة ، فللمؤمن محروب

ملك الملوك أسامع فأنادى . أم قد عدتكم عن السماع عواد
لما نقلت عن القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا وجعلت قبرك موضع الأنشاد
واستمر في القصيدة يبكي والناس يجتمعون عليه ويكون .

تري هل استجاب الله دعاء أبي الوليد حين أخرجه المعتمد مفلوج الشدق مائل الشق ؟ نعم . ولعلها عظة لمن يصول بالقوة ، ويدل بالبأس ، ويعميه الغرور فيكيد للضعيف ، ويستبد بالمغلوب ، ويستعمر الشعوب ، ويستعبد الممالك ، ويدبر في الخفاء . وإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، كما يقول الرسول صلوات الله عليه ، وإنما لدعاء نافع مستجاب ، كما يقول المعتمد نفسه :
ولكن الدعاء إذا دعاه ضمير مخلص نفع الدعاء .

واحد — هو الله تعالى — يعتقد أنه كل شيء ، وييده ملكوت كل شيء ، وله القدرة والسلطان على جميع الأكوان ، فما ناله من خير فهو بهدايته وتوفيقه ، وما تعذر عليه من أمر فهو بكفه وإليه ، ويعول فيه عليه ، وللشرك أرباب متفرقون ، فإذا تعذر عليه أمر ، لجأ إلى بشر أو صخر ، أو توسل بحيوان أو قبر ، أو استشفع بزيد أو عمرو ، فهو دائماً مضطرب البال ، لا يستقر من القلق على حال ^(١) .

هكذا يزين السادة للضعفاء ، وهكذا يذل الضعفاء للسادة ، ولكنهم ما يكادون يفارقون هذه الحياة حتى يتبين لهم ، فإذا بلغت الروح الخلقوم ، وحضرت الملائكة تنوفي أولئك الضعفاء ، سألتهم : أين الذين كنتم تعتمدون عليهم ، وتتوسلون بهم ، وتعتقدون أنهم شركاء لله ، فيلتفت الضعفاء بمنه وبسرة ، فلا يرون من يرد عنهم الموت ، أو يخفف من سكراته ، فيعرفون - لأول مرة - أنها كانت خدعة . حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا ، وينفخ في الصور فيخرجون من قبورهم ناكسي رؤوسهم ، خشعا أبصارهم ، يهولهم الموقف ، ويشدد عليهم الحساب ، فيلتفتون لعلمهم يجدون من يأخذ بأيديهم ، فإذا سادتهم يبرزهم الملائكة لهم ، لكن لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، ولا يسأل حميم حميماً ، فهم يتراءون ، ويصير بعضهم بعضاً ، ولكن يفر المرء من أخيه وصاحبه ، فيسمعون الصوت ساخراً منهم ، هازئاً بهم : ما لكم لا تنصرون ، فيتمتقون عتاباً خفيفاً هادئاً ، يقول الاتباع : إنكم كنتم توسوسون لنا ، وتزينون لنا الشرك والكفر ، فيجيبهم المتبوعون في حسرة لاذعة ، وألم بالغ ، : ما كان لنا عليكم من سلطان ، بل أنتم الذين آثرتم الشرك . احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ، وقفوهم إنهم مسئولون ، ما لكم لا تنصرون ، بل هم اليوم مستسلون ، وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ، قالوا إنكم كنتم تأتونا عن اليمين ، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ، وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين . ولكن يشتد عليهم العذاب ، ويطول بهم

الموقف، فترفع أصواتهم وينفجر غيظهم، وحنقهم على رؤسائهم، فيتراجعون القول، ويتقاذفون التهم، الضعفاء يتهمون سادتهم بأنهم أضلّوهم، وضمومهم من الهدى، وحادوا بهم عن طريق الحق، وأوهموهم أن الخير في اتباعهم، والرشاد في السير وراءهم، والمستكبرون يتهمون الضعفاء بأنهم كانوا راغبين في الشهوات، طامعين في الملذات، محبين للفساد في الأرض، متهاونين في حق أنفسهم، ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين، قال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب.

ثم يساق المستكبرون إلى النار يحدون فيها جزاء ما اكتسبوا، في سموم، وحيم، وظل من محموم، لا بارد ولا كريم، ويلتفتون في ساعة من ساعات الضيق والقلق - وكل ساعاتهم كذلك - إلى أبواب الجحيم، فإذا الزبانية يسوقون فوجاً في السلاسل والأغلال، فيتأملونهم فإذا هم أتباعهم في الدنيا، فيتقربون منهم، وينادونهم، لا مرحباً بكم، ولا سهلاً لكم، كنا ظنناكم نجوتكم من العذاب، وبعدتم عن النار، ولكنكم تدخلونها كما دخلناها، فلا حياءكم الله، فيرد عليهم الاتباع حائقين ثائرين: بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار، وهكذا كلما دخل فوج لعن الأول الآخر، ولعن الآخر الأول، فإذا اجتمعت الأفواج كلها، جعلوا يتصايحون ويتسابون، ويظنون كذلك يتسابون ويتلاعنون حتى يأذن الله: قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرأهم لأولأهم: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار، قال: لكل ضعف ولكن لا تعلمون، وقالت أولأهم لأحرأهم: فما كان لنا عليكم من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون. فإذا لم يجدوا من هذا التلاعن فائدة لجأ الضعفاء - كعادتهم في الدنيا - إلى سادتهم - ولعلمهم يرجعون هذه المرة ساخرين - رجعوا إليهم يرجونهم أن يخففوا عنهم شيئاً من العذاب، ولكن كيف وكل فيها: وإذا يتعاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم

أهل النار يختصمون

٥٣

مغنون عنا نصيباً من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد ، ، وتبرأوا منهم - وهم منذ بعيد يتبرأون - ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب ، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم ، حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ، نعم ، لا رجعة ولا عودة ، ولا أمل في رجعة أو عودة ، فلم يبق إلا اليأس ، اليأس من المتبوعين ، واليأس من العودة إلى الدنيا ، فيندمون على ما فعلوا ، ويلجأون إلى الله يطلبون منه أن يضاعف لسادتهم العذاب : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرانا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتتهم ضعف من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ، .

حكم الله بين العباد ، وتجازى كلا بما قدم ، جازى المتكبر بضلاله وإخلاله ، ولم يرحم الضعيف العقل ، السخيف الرأي ، فجازاه على ضلاله ، واستخفافه بعقله ، واتباعه لغيره على غير هدى ولا بصيرة ، ولم ينفع الاتباع بمتبوعيه ، ولا خفف عن المتبوعين أن الاتباع معهم في النار ، والقرآن الكريم يخاطب هؤلاء وهؤلاء : « وإن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ، .

أهل النار يختصمون : « إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ، وينحاجون ويتلاعنون ، ويتبرأ الكبار من الصغار ، ويشترك الجميع في العذاب .

هذه هي القصة التي ذكرها القرآن الكريم في مواضع غير قليلة ، وبينها واضحة جلية ، فهل لنا أن نطمع في أن يلتفت إليها أولئك الذين يعبدون الله على حرف ، ويتملقون بآمال كاذبة ، وهل لهم أن يعلموا أن كل علاقة تقوم بين اثنين على غير رضا الله ومحبة هي وبال على الاثنين معاً ، يوم لا تنفع خلة ولا شفاعة ، ولا يغنى مولى عن مولى شيئاً ، و « الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، ٩

لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

لفضيلة الشيخ محمود جميلة

المدرس بكلية اللغة العربية

أجناس المخلوقات متنوعة ، وأنواعها متفاوتة وأعمال الإنسان متعددة ، وأقواله متكاثرة ، وقد اختار الله من كل جنس أطيبه ومن كل نوع أحسنه ومن كل عمل أصدقه ومن كل قول أوفاه .

فطيب كل شيء هو مختاره تعالى وموضع قبوله ورضاه ، وأن تناول خلقه ما سواه ، ففضل النورانية اللطيفة على البشرية الكشيفة ، ورفع الطين على النار ، وميز الناطق على الأعجم والحيوان على الجماد ، وجعل في كل ذلك ما به تألف ونختلف ، وتجدد وتفترق ، وتقبل وترد ، وتعلو وترسب .

والإحسان في كل شيء هو طلبته وموضع محبته وإليه دعوته ومنه اسمه وإليه مرده وعنده جزاؤه والزيادة منه وثوابه والفضل عليه .

والمحسن يحب الحسن والمحسنين ، ويكره الخبيث والخبيثين ، كما أن الطيب يحب الطيب والطيبين ، ويكره الخبث والخبيثين فأعمال الإنسان وأقواله خاضعة لهذا الوضع تابعة لهذا القانون : من أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

والقول الحسن أو الكلام الطيب الذي إليه يصعد وبه يرضى وعنده يقبل هو المنزه عن الفحش والتفحش ، والكذب والبهتان ، والخبث والزور ، والباطل والضلال . فكان نصحاً للمسلمين أو صلحاً بين المتخاصمين أو شهادة تظهر الحق أو قولة تبطل العدوان أو سفارة مخلصة أو شفاعة حسنة أو ذكراً يرطب القلوب أو استغفاراً يمحو الذنوب أو صلاة ناهية أو حكمة شافية أو دعوة للإصلاح أو صرخة في الحق أو نداء في سبيل الله .

لا يستوى الخبيث والطيب

٥٥

والعمل الصالح الذى إليه يرفع ولديه ينزل وعنده يقع موقعه من الرضى والقبول هو ما حسنته الفطر السليمة والشرائع المنزلة والعقول الصحيحة . كتوحيد المبدع وإيثار رضاه على هدى النفس وتخصيصه بالطاعة والعبادة والإحسان إلى خلقه بنصحهم وإنصافهم وتحمل أذاهم ، والكف عن أعراضهم ومعاملتهم بالحسنى والأخذ بيدهم إلى طريق النجاة وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، كما أنه تعالى اختار من الأخلاق أذكاهما وأطهرهما كالوفاء والرحمة ، والتواضع والعزة ، والحلم والشجاعة ، والحق والصبر ، والمروءة والسخاء ، وصيانة الوجه ، ونقاء القلب من الغل والحسد والحقد إلى غير ذلك من خلال الخير وصفات الرحمة التى أيدها النظر ودعت إليها الأديان ، ووافقت عليها الطبائع وقضت بها العقول .

ويحب الله لعباده من الغذاء أو النساء أو الراحة أو العشاء - الحلال الجلى ، والسليم الهنى ، والمرى الشهى ، والطيب الذكى ، والخل الوفى ، والناصح الآبى ، والصاحب النقى .

فسبحانه وتعالى يحب الطيب لعباده ومن عباده ، ويكره لهم الخبيث فأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ودعاهم بما أودع فيهم من قوة التمييز وقدرة التفكير وبعد النظر وصحة التأمل والاعتبار - إلى النافع الناصع والصالح الظاهر والحق المبين والطريق المستقيم ؛ حتى إذا ما استقاموا على الطريقة وطابت نفوسهم بالطيبات ونفرت من الخبائث توفتهم الملائكة طيبين ، وقال لهم خزنة الجنة سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين .

فالجنة طيبة ، غرسها طيب ، وماؤها طيب ، وربحها طيب ، أعدها الله للطيبين واختارها للمتقين ، كما أن النار خبيثة ، ربحها خبيث ، وطلعها خبيث ، أعدها الله للخبثين ، وجعلها دارا للسرفين ؛ فهما داران لكل منهما جزء مقسوم ونصيب معلوم وعدد مرسوم .

أما الدنيا فقد جمعت بين الأمرين ، واتسعت للنفيسين واشتملت على الضدين ففيها : شر وخير ، وعدل وظلم ، ونور وللمة ، وهدى وضلال ، وعلم وجهل ، وحكمة ونزق ، وذنوب وتوبة ، وإفساد ، وطيب وخبيث ، كل ذلك وما وراءه لا تتردد النفوس فيه ولا ولكن العقول المميزة بين هذه المذ

تلك المتباينات قد يغطيها صدأ يعكر

صفوها أو سحاب يستر ضوءها أو حجاب يمنع نفوذها فتتردى في الباطل باسم الحق وتؤمن بالزور والضلال خضوعاً لغلبة الشهوة وسيطرة الشيطان .

وما كان الله ليدع عباده في ظلمة الدنيا حيارى بين حق مستور ، وباطل مشهور ، وهو دون أن يبين لهم الطريق ويوضح لهم السبيل ويفتح لهم باب الرشاد والقبول - وكيف يجعل لهم موعداً ، ويضع لهم ميزاناً ويعد لهم صراطاً ويفهمهم وقفة السؤال والحساب ، ويرزق المحسن إلى الجنة ، ويسوق المجرم إلى النار وهو عدل في قضائه ورؤوف بعباده ، وقد بقيت الحجة للأخوذ ، والمعذرة للمطلوب ، تعالى الله عن ذلك ، وتنزه عما هناك ، فقضت كلمته وشامت إرادته أن تكون الحجة له والمعذرة إليه ، فله الحجة البالغة على خلقه ، وليس لخلق عليه حجة ، فاصطفي من عباده من شاء أن يصطفي ، واختار منهم من شاء أن يختار ، اصطفي رسلاً من الناس للناس ليتم التفاهم ، وتقطع الأعذار ، وتبطل العلل ، ويزول اللبس وتقوم الحجة ويحصل الإلزام .

أرسلهم لتمييز ما اختلط ، وكشف ما استتر وتوضيح ما اشتبه ، ونشر الحق وإقامة العدل وفتح مسالك الجنة وسد مسالك النار .

أرسلهم مبشرين ومنذرين وهادين وناصحين وداعين ومرشدين . صنعهم بيده وعلمهم من كلمته وأسبغ عليهم من نعمته وجعلهم مصابيح مضيئة تهدي إليه ، وتدل عليه وتحيا لأجله وتموت لأمره وتدهو لجنته وتنفر من ناره : أمدهم بنصره وأيدهم بعنايته وأنزل معهم الكتب والحجج فاستبان الأمر ووضع السبيل وسلك كل طريقة وصوت الحق يناديه : هذا حلال وهذا حرام ، ليهلك من هلك بهيماناً من سلك .

وقد شامت حكمة الحكيم بعد دعوة المرسلين أن يبقى في الناس من الناس أمثلة من أمثلة الخير ودعاة من دعاة المعروف وهداة من هداة الأمة ، تهذيب نفوسهم وسمت عقولهم وصدقت نياتهم وتولاهم ربهم ، فطهر قلوبهم وعرفهم بنفسه فباعوا من أجلها نفوسهم فلا من ولا يصدرون إلا متقين مؤمنين ممثلين موقنين ، وهؤلاء هم الأنبياء . ذكر النبوة والاولياء والعلماء بعد البعثة المحمدية ، أولئك دعوا الناس بأفهمهم وصحتهم ونطقهم فكانوا قدوة من خالفك ، وفقنا الله لمتابعتهم وتحذري وعصية ترنجي ، رحمة من والسير على سنتهم ؟

الأفضل بن بدر الجمالي

الأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس أول الآداب بالمعاهد الدينية

كان بدر الجمالي ، والد الأفضل ، أرمي الجنس ، اشتراه جمال الدولة بن عمار ورباه عنده ، ولصائب رأيه ، وقوة عزمه ، وشهامته ، استنابه المستنصر الفاطمي على مدينة صور ، وقيل عكا . ثم أخذ يتدرج في المناصب السكبري لما أصابه من نجاح في الحروب السورية ، وحرب الأتراك ، حتى أضفى أشد الحكام قوة في سوريا . ولما أطبقت المصائب على الدولة الفاطمية في عهد المستنصر استجار به الخليفة ، ليربأ الصدع ، ويقوم المعوج ، فقدم مصر على رأس جيوشه السورية المسماة بالشرقيين Easterns ، تمييزاً لهم عن الترك ، والبرابرة ، والعناصر الموجودة بالبلاد ، وذلك بعد أن فتكت المجاعة بأهل البلاد ثمانى سنوات (٤٤٦ — ٥٤٤ هـ) . وبعد أن عاث الترك فيها فساداً . وبعد بجيشه فوض له الخليفة كل شيء ، فسميت الوزارة باسمه . وزارة التفويض ، ومن ثم علا نجم الوزارة وهوى نجم الخلافة ، وذلك طابع التاريخ الفاطمي ، في عهده الأخير . والحق يقال إن البلاد تدين لبدر وابنه الأفضل مدى نصف قرن بما سادها من هدوء ورخاء .

ولما مرض بدر الجمالي ، أوصى بتدبير المملكة من بعده ، لولده الثاني ، شاهين شاه ، وذلك لطول ما لازمه ، وتدريب على يده ، واكتسب من سيرته . ولما تولى شاهين شاه ، الوزارة ، لقب بالأفضل ، وبجميع الألقاب ، والامتيازات ، التي كانت لأبيه ولقد كان للأفضل ، أخ ، يكبره ، يدعى الواحد ، لم يعهد إليه أبوه ، بالوزارة ، لأنه خرج عليه ، وتحصن في الاسكندرية ، ففضى إليه أبوه ونازله حتى هزمه ، ودخل الاسكندرية ، وبنى بها مسجد العطارين . أضف إلى ذلك ما تحلى به الأفضل من أخلاق وميزات ، لم تكن لأخيه الواحد .

ولم يخلص الأمر للأفضل بسهولة ، فإن « أمين الدولة لاوون » ، وهو من فتيان بدر ، تسكر لمناخيه مع سيده ، وحاول في ساعات بدر الأخيرة ، أن يقفز الى الوزارة ، عن طريق رشوة الامراء ، واسترضاء الخليفة الفاطمي ، فأبى المستنصر الوفي ذلك عليه ، ودس له منافسه « ناصر الدولة أفنديكين » ، حتى اجتمع الامراء ، على مناصرة الأفضل . فركب الأفضل ، بعد فشل « لاوون » ، إلى باب العيد ، فأكرم الخليفة وفادته ، وأقامه مقام أبيه ، وسد به مسده ، وأتبع ذلك بزيارة لبدر ، وهو على فراش الموت ، مقرأً أمر ابنه من بعده ، بمجاملة له ، وطمأنه على مصير ابنه . وبذلك أضحي الأفضل وزيراً مكان أبيه ، واجتمع له من الرتب والالقب والادعية ما كان لأبيه . أما « لاوون » فقد عفا عنه الأفضل ، وأبقى عليه ، ثم اعتقله أثناء حركة « نزار » ، بالاسكندرية ، مخافة خيائنه ، وظل كذلك حتى مات في معتقله .

وقد كان الأفضل يلقب « بالسيد الاجل » ، الأفضل ، سيف الامام ، جلال الإسلام ، شرف الانام ، ناصر الدين ، خليل أمير المؤمنين ، أبو القاسم شاهين شاه ، ابن السيد الاجل ، أمير الجيوش المستنصري ، وفي الحقيقة أن لقب الأفضل ، يسترعى انتباهنا . وبقدر المستطاع تلست علة هذه التسمية أثناء قراءتي في الخطط المقرزية إذ يقول المقرزي ما نصه : « فلما قام شاهين شاه أمير الجيوش من بعد أبيه ، ومات الخليفة المستنصر ، وأجلس ابن بدر في الخلافة أحمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي ، صار يقال له الأفضل ، ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يلقب بها أيضاً . فمن حديث المقرزي يمكن أن نستنتج أن لقب الأفضل صار له عند ما فضل خلافة المستعلي على نزار ، وأقامه بدل أخيه . منذ ذلك الحين صار يقال له الأفضل ، أما الوزراء الذين حملوا هذا اللقب من بعده ، فقد حملوه تقليداً وتشبهاً .

قضى المستنصر عام ٤٨٧ هـ (٢٩ ديسمبر ١٠٩٤ م) ، وخلف من بعده ، سبعة أولاد ، كان أصغرهم المستعلي ، الذي اعتلى العرش ، بمساعدة الأفضل ، وأكبرهم نزار ، الذي أقصى عن العرش . وتضطرب الرواية الإسلامية في هل عهد الخليفة الراحل من بعده بالخلافة الى ولده نزار أم لا ؟ ويقال إن الخليفة

قد نص صراحة في حياته على أن يخلفه ولده « أبو المنصور نزار » ، فلما مرض أراد أخذ البيعة له ، فتقاعد الأفضل ، ودافع المستنصر من يوم إلى يوم حتى مات . ولقد عهد الأفضل بشئ الوسائل إلى إبعاد نزار عن الخلافة ، فأخذ يدس له ، عند العوام والخواص ، وخوفهم منه ، حتى انفضوا من حوله ، ثم فاض عنه نزار في ولاية أبي القاسم على أن يلقب بالمستعلي على أن تكون لها كفالة الدولة فشهدت بأن المستنصر عهد له بمحضر القاضي والداعي . جد الأفضل بعد ذلك في أخذ البيعة للمستعلي ، وتم ذلك بحضور قاضي القضاة المؤيد بنصر الانام « علي بن نافع بن الكحال » ، على مقدمى الدولة ورؤسائها وأعيانها ، واستجاب لهذه البيعة كل من اسماعيل وعبد الله ابني المستنصر ، وكتب بذلك محضرا قرأه على الأمراء « الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسيني » الكاتب بديوان الإنشاء .

لم يترك نزار الأمر يمضى على هذا النحو سهلاً ليناً ، وهو فيما يرى صاحب حق مغتصب ، وقال للأفضل يوم طلب منه مبايعة المستعلي « لوقت طمت ما بايعت من هو أصغر مني سنأ » ، وخط والدى عندي بأني ولي عهده ، وأنا أحضره . . وخرج مسرعاً حيث مضى هو وأخوه عبد الله - ناصراً البيعة - وابن « مصال السليكي » إلى الإسكندرية ، وهناك استمال نزار واليها المدعو « ناصر الدولة أفتكين التركي » ، إذ وعده بالوزارة ، وكذا بايع أهل الإسكندرية نزاراً ولقب « بالمصطفى لدين الله » ، وساعده على ذلك « ابن عمار » قاضي الاسكندرية ، فكان البيعة التي تمت بالقاهرة على يد قاضي القضاة « علي بن نافع بن الكحال » ، قد تم مثلها بالاسكندرية على يد قاضي الاسكندرية « جلال الدولة علي بن أحمد بن عمار » . وذلك ما أزعج الأفضل كثيراً ، فأخذ يعد العدة لملاقاة نزار .

وفي آخر المحرم ٤٨٨ هـ (فبراير ١٠٩٥ م) ، أعد الأفضل حملة سار بها متجهاً إلى الاسكندرية ، غير أنه انكسر في جولته الاولى ، وتمكن نزار من الاستيلاء على الوجه البحري بما توافر لديه من الانصار العديدين من أعراب الدلتا ، وبذا أصبح نزار خطراً حقيقياً يهدد سلامة الدولة . رجع الأفضل إلى القاهرة منكسراً ، وليس خائب الرجاء ، لجمع على عجل جيشاً آخر ، ونوئل

بوسائل الدس والرشوة لدى أعوان نزار وأفتكين ، وأخذ يعدم الوعود الطيبة ، فانفض أعوان نزار من حوله ، وأقدم على محاصرة الاسكندرية ، وضيق عليها الحناق ، ففر ، ابن مصال ، إلى المغرب ، وضعفت بذلك شوكة نزار وأفتكين ، وطلبوا الأمان فأمنهما ، ثم قبض عليهما وعلى ابن عمار ، وأرسلهم مخفورين إلى القاهرة ، فأما نزار فإنه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه ، وأما أفتكين فقد قتله الأفضل بعد قدومه ، ويقول ابن خلدون [ج ٤ ص ٦٦] إنه قتل بالضرب بالعصى لأن الأفضل أحضره يوماً ووبخه فهم بالرد عليه .

وعلى هذا نرى أن الأفضل أحمل بالأمان الذي أعطاه لنزار وأفتكين وابن عمار ، لأنه كان حائقاً حنقاً كبيراً على نزار وأفتكين ، ولأن الأخير كان يلعب المستعلى والأفضل على المنابر . كذا قتل الأفضل عبد الله أخ نزار ، وولى ، أبا الحسن بن حديد ، قاضياً على الاسكندرية بدل ابن عمار .

مركز تحقيق كميوتير علوم إسلامي

وتردد بعض المصادر سبباً طريفاً تعلل به فرار ، ابن مصال ، إلى بلاد المغرب ، وذلك أن ابن مصال رأى في منامه أنه راكب فرساً والأفضل يسير في ركابه فقال المعبر : المشاي على الأرض أملك لها ، فلما سمع ذلك جمع ماله وفر إلى بلاد المغرب ، ويقال إن الأفضل أتمن ابن مصال واستقدمه وأبقى عليه . وهكذا استطاع الأفضل القضاء على هذه الفتنة في مهدها ، التي لو قدر لها النجاح لأطاحت بوزارته وبخلافة المستعلى .

ويجدر بنا أن نتساءل : ما هي الأسباب التي حملت الأفضل على إقصاء نزار عن الخلافة ؟ تردد غالبية المصادر وخاصة العربية منها أن نزاراً خرج ذات يوم في حياة أبيه فإذا الأفضل راكب وقد دخل من أحد أبواب القصر ، وكان المعمر مظلماً فلم يره الأفضل ولم يترجل ، فصاح به نزار : انزل يا أرمي الجنس ،

وفي رواية أخرى : انزل يا أرمني يا كلب ، وفي ثالثة : انزل يا أرمني يا نجس ، ،
وعلى هذا أضمر كل لصاحبه الكراهية ، ومن دواعي هذه الكراهية أيضاً ، أن
كان لنزار حاشية وأعوان يعملون على إقصاء الافضل عن الوزارة .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الافضل يعارض نزاراً في أيام أبيه ويستخف
به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبطش بعلمانه . . . فلما مات المستنصر خاف
الافضل على نفسه فعمل على إقصائه عن العرش . أما المصادر الاجنبية فتورد
جملة تعليقات لهذا الإقصاء ، من أهمها أن الافضل كان يرغب في الاحتفاظ
لنفسه بالقوة التي كانت لأبيه أيام المستنصر ، فعمل على إقصاء نزار عن الخلافة
وكان عمره إذ ذاك خمسين عاماً ، أما المستنصر فكان عمره في ذلك الحين ثمانى عشرة
عاماً ، فيكون ولا شك في يده أطوع أمراً وأسلس مقادة من أخيه المسن ،
فكان الافضل بإبعاده نزاراً عن العرش ، كان مدفوعاً بعوامل شخصية قوامها
الكراهية والطمع في تركيز السلطة في يده ، ولم تذكر المصادر عربية كانت
أو أجنبية عيوباً خلقية أو خلقية تحول دون تولى نزار الخلافة .

ويجدر بنا أن نلم في ختام هذا المقام بالنتائج التي ترتبت على حركة نزار
ومرغمته ، وأهمها نتيجتان : الاولى ازدياد قوة الافضل بالطبع ، إذ ظل المستنصر
مسلوب السلطة معه طيلة خلافته . والثانية أن هذه الحركة سببت الانقسام في
صفوف الفاطميين ، فأصبح الفاطميون وأعوانهم بمصر قسماً ، وأتباعهم خارج
مصر قسماً آخر ، وهؤلاء هم النزاریون الذين كانوا يدعون مبدئياً للمذهب
الفاطمي عامة ، ثم أصبحوا بعد مقتل نزار سنة ٤٨٨ هـ حزباً قائماً بذاته يعمل
على مناوئة الفاطميين بمصر ويقول بإمامة نزار ، ولقد سببت هذه الطائفة كثيراً
من المتاعب للدولة الفاطمية ، ولقد دخل بعضهم مصر ولا يبعد مطلقاً أن يكونوا
هم الذين دسوا السم للإمام المستنصر .

وإلى مقال قادم نعرض فيه لفرقة النزارية ، ونتم فيه الحديث عن وزير
جليل خطير من أهم وزراء العهد الفاطمي هو الافضل بن بدر الجمالي .

دراسات في التصوف :

العقل والنقل والذوق

الأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ في الآداب

نشأت بين الفقهاء والصوفية خصومة عنيفة دامية ، بدأت مع بدء التصوف كعلم ، واستمرت تشتد وتضطرم كلما تقدم بها الزمن . فالصوفية قد اتبعوا مذهباً ، واصطنعوا آراءً ، هي على طرف نقيض مع آراء الفقهاء ، فكان النضال بين الفريقين نضال مذاهب :

طريق التصوف ، كما نعرف ، هو التخلص من ربة البدن ، وهو تنقية النفس وتصفية الروح ، والصعود بها إلى السماك الأعلى ، هناك حيث تتحد بالحق ، وحيث تنكشف لها أنوار اليقين ، فالروح إن تخلصت من البدن ، سميت وارتفعت عن أدران الأرض وأحقادها ، إلى عالم الله ، إلى عالم الحقيقة . هنالك تجد الروح لذة لا تعادلها لذة . أما السبيل إلى ذلك فهو كما قلنا التخلص من ربة البدن : بالرياضة والمجاهدة والزهد والحرمان والتشفي .

تلك جميعاً هي وسائل في سبيل غاية أولى ، ومقصد أسمى وأنبى ، لا بل في سبيل شيء أعظم من ذلك وأقدس ، إنما هي وسائل فصل بوساطتها إلى عين الحق . يريد هؤلاء القوم أن تتلاشى عن أبصارهم حجب المباديات ، فيأخذون أبدانهم بالمجاهدات والرياضات ، حتى يتخلصوا — إن أمكنهم ذلك — من مظهر الوجود الشخصي المحدود : يريدون الفناء عن أنفسهم في الله ، والتخلص من أبدانهم ليتصلوا بالله .

ولكن الفقهاء أبوا أن يسيروا مع الصوفية في نفس الطريق ، فأصموا آذانهم دون هذا الحديث ، فإنه الحديث مشكل ، وطريق غير معبد ، لا يستطيع السير

فيه إلا من يسلك طرق الصوفية ويتبع خلتهم ، فإنهم وقد بنوا عليهم على أصول كشفية ، وعلوم ذوقية ، فإن علينا أن نحكم الأصول حتى نعرف الفروع ، وأن نتجرد عن الدنيا والآخرة حتى ندوق ، وعلينا قبل أن نبدأ فهم كلامهم أن نكون منهم ، وأن نعلم ماهية النفس على طريقتهم .

وهنا نجد الفقهاء يخالفونهم في السير ، ويباينونهم في الفهم ؛ إن الروح عندهم من أمر ربهم ، لا يقبلون فيها نقاشاً أو جدالاً ، إنها حقيقة مسلمة أمرهم الله ألا يبحثوها ، ولذا عجز الفقهاء عن فهم الصوفية ، فرماهم هؤلاء بأنهم لا يعلمون من الحكمة إلا الحشف والقشر ، وحاصل ما حصلوه إنما كان معرفة الجسم وبعض أعراضها ، وبعض عوارض الوجود ، بل وليت ذلك سلم من الأخطاء ، فإن به الكثير من الخطأ .

رأى الفقهاء أن الصوفية يتزهدون ، ويعرضون عن الدنيا ، لا يبغون منها مآرباً ، وإنما هم يبغون وجه الله ذي الجلال والإكرام ، لا يسمعون إلى منفعة إن عاجلة أو آجلة في عالم الفناء ، ولكنهم يرغبون في عالم الحقيقة ، يرغبون الاتحاد بالله والفناء فيه . ولكن الفقهاء يرون أن الزهد يخالف للشرعية السمحاء ، نهى الله عنه بآياته البينات ، أفلم يقل عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولكن لبت الأمر وقف عند الزهد ، فإن أمره سهل ميسور ، ولكنه تعدها إلى ما هو أكثر من ذلك خطراً وأقوى أثراً ، فتأدى الصوفية بالسكر والغيبة ، قد سكروا وغابوا ، يقولون إن أرواحهم في العالم القدسي ، في حضرة الربوبية ، فهم إن نطقوا فإنما ينطقون بلسان الله ، وإن تكلموا فإنما يتكلمون عن الله ، فإن قال الحلاج : أنا الحق ، أو إن قال : ما في الجبة إلا الله ؛ أو إن قال ابن عربي :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

نظر الاشرافيون إليهم نظرة إكبار وإجلال ، ولم لا ، وهم الواصلون إلى درجة العرفان ، المتحدون بالله قلباً وقالياً ، الناطقون عن لسان الحق ، المتكلمون عن إله الخلق ، إذن فليس في حديثهم هذا غرابة ، ولا يحق لنا أن ندهش إن سمعناه ، أو أن نعجب منه ، أو أن ننسئكره ؛ أما الفقهاء فيرون فيه كسفاً

والحادأ : فمن هو ذلك الإنسان ، ذلك العبد الذى يرتقى فيصل إلى الله ، من هو هذا المخلوق من طين وماء مهين ، أين هو من الله : نور السموات والأرض ، النور على النور ، الذى يكاد نوره أن يخطف الأبصار ، الله الذى إذا تجلى لجبل لخرَّ الجبل من هيئته تعالى : أين هذا الإنسان إذن من عظمة الله وجبروته وقوته ، وأنى له أن يتصل به ، إن هو إلا إفك وبهتان ، وإن هو إلا تضليل للعقول :

فدع الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا ، فهم ذئاب خفاف

فالتصوف عند الفقهاء كان حقاً في عهد واحد وحقبة من الزمن واحدة ، أما ذلك العهد وتلك الحقبة ، فهو عهد الصحابة والتابعين ، عهد السلف الصالح ، أما بعد ذلك فقد خلط التصوف بالفلسفة الإشرافية ، وكسى بلون من الزهد الفارسي ، فأخذ التصوف حياة غير الحياة التي عرف بها الزهاد والوعاظ في صدر الإسلام ، وشاع يومئذ الغلو في الزهد ، وراج ما توهموه في معنى التوكل من أنه نزع اليد من الأسباب جملة .

ووحدة الوجود هي أهم المسائل التي أحنقت الفقهاء على الصوفية ، وأثارهم ضدهم ، فنظروا إليهم فظنهم إلى الملاحدة أو الكفار .

ولعل هذه النظرية في أصلها هندية أو فارسية ، متأثرة ببعض الافلوطينية ، ولكن الصوفية قد صبغوها بصبغتهم الخاصة ، وأسبغوا عليها من روحهم ما أحاطها إسلامية إشرافية خالصة : فالكائنات كلها مظهر لعلم الله وإرادته ، وفيض صدر عنه مباشرة أو بالواسطة : فوجودها مستمد منه جل شأنه ، ولا موجود بذاته ولذاته إلا الله الواجب الوجود ، المستغنى عن كل ما سواه ، وعنه صدرت الكائنات الأخرى ، وأفادت الوجود والحياة فوجودها عرضي وبالتالي ، ومن هنا يظهر لنا أنه ليس ثمت إلا كائن واحد ، موجود حقيقة وضرورة بل هو الوجود كله . أما الكائنات الأخرى ، فلا تسمى موجودات إلا مجازاً . وإذا كان الله هو الموجود الحق ، فكل ما عداه ظواهر وأوهام . فليس ما شئ وجود قديم خالق ، ووجود حادث مخلوق ، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله .

ولابن تيمية نقد مشهور لهذه النظرية ، يقول : لو صح هذا الذى يقولون لكان الله هو عين الخنازير والكلاب وسائر المخلوقات الدنيا ؛ وهذا كفر وبطلان ليس بعدهما كفر وبطلان . وثبت نتيجة تتفرع منها : لو أننا كنا نحن هين الله ، نحن بضعة منه وجزءه ، فأفعالنا إن أحسنها هي أفعال الله ، وأفعالنا إن أسأنا هي أفعال الله ، فكأن الله إن أثاب إنما يثيب نفسه ، وإن عاقب فإنما يعاقب نفسه ، وهذا مدم للشرع والدين .

ونادى الفقهاء بتكفير من يقول بهذه النظرية ، وكأنما أحس الصوفية بما ينتج عن نظريتهم هذه فقالوا قولهم المشهور : إن العلم علان : علم مكتسب ، وعلم موحى به . أما الأول فلندعه لهؤلاء المنقيين بين الصفحات ، الباحثين بين الكلمات الساهرين الليل الطويل ، القارئ المؤلفين : أما العلم الثانى فسبيله الله ، وافته وحده هو الذى يصطفى عبده ، ويختيه ، ثم يشرق على قلبه نورا ليس بعده نور ، وعلما أكثر من العلم المكتسب ، بل وليس بينهما سبيل للمقارنة . وعلى الفريق الأول أن يكتفى بعلم الدنيا ، وألا يحاول أن ينفذ الى علم الله الذى لا يعرفه إلا هو ، والراسخون فى العلم المقربون منه المصطفون . [يتبع]

الفصاحة

قال أبو وجرة السعدي يصف كلام رجل :
يكفى قليل كلامه وكثيره ثبت إذا طال النضال مصيب
وأشدد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ولم يسم قائله وهو مولد ولم ينقض
توليده من حظ القديم شيئا :

طبيب بداء فنون الكلام فلم يعش يوما ولم يهذر
فإن هو أطب في خطبة قضى للتطيل على المنذر
وإن هو أوجز في خطبة قضى للعقل على المكسر
وقال شاعر آخر يصف خطيبا :

فإذا تمكلم خلته متمكلا بجميع عدة ألن الخطباء
فكأن آدم كان عليه الذى قد كان هلم من الاسماء

العلاقة بينه سلامه والنصرانية

لحضرة الاستاذ سالم أحمد الرشيدى

أستاذ فى التاريخ الإسلامى

[سلطان عثمانى يدعو بابا روما إلى

اعتناق النصرانية ويعدده بالشهرة والمجد]

أخذت الدولة العثمانية بعد قيامها واستقرارها فى آسيا الصغرى ، فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى تمت فتوحاتها شرقاً وغرباً ، وعبرت مضيق الدردنيل إلى أوروبا واستولت على كثير من ممالكها حتى بسطت سيطرتها على معظم البلقان . وقد أثار هذا التقدم السريع الباهر الذى أحرزته الدولة العثمانية الفزع والرعب بين دول أوروبا ، وطالما دعت البابوية فى روما إلى شن الحروب الصليبية على هذه الدولة الإسلامية الفتية والقضاء عليها .

وعند ما تولى محمد الفاتح عرش السلطنة سنة ٨٥٥ هـ (١٥٤١ م) كانت لا تزال فى آسيا الصغرى بعض قلاع وإمارات إسلامية ونصرانية لم تدخل بعد فى نطاق الدولة العثمانية ، وكانت كلها تضمر لهذه الدولة أشد العداء والكراهية التى يمازجها شئ من التخوف والخشية . وما لبثت هذه القوى المختلفة أن أخذت تتآمر وتنظم الخطط للقضاء على الدولة العثمانية التى تزداد كل يوم قوة وخطراً ، ولا سيما بعد استيلاء السلطان الفاتح على القسطنطينية . وتولت زعامة هذه الحركات والمؤامرات طرابزون (١) .

(١) إمارة نصرانية صغيرة تقع فى شمال شرق آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود . وكانت

تعرف باسم : « إمبراطورية طرابزون » .

وكان يوحنا امبراطورها^(١) وقتذاك كمغيره من الروم ، كبير الاعتداد والعجب بنفسه ، يعتقد أنه لا يدانيه أحد في المهارة السياسية ومعرفة دخائلها وحبائلها ، فكان يستخف بأعدائه ويستهن شأنيهم وقوتهم . ولما بلغته وفاة السلطان مراد الثاني وقيام السلطان محمد الفاتح مكانه - وهو فتى شاب - استطار فرحاً وغبطة ، إذ ليس أيسر عليه - في اعتقاده - من أن يتغلب بمحنكته ودهائه على هذا الشاب الغر ، ويخضعه لأمره ، وأن في قدرته أن يستميل إليه من حوله من الأمراء في آسيا الصغرى وفيما وراءها من آسيا ، بل وفي أوروبا أيضاً ، يشد بهم أزره ويسخرهم لأغراضه ، ويؤلبهم جميعاً على العثمانيين .

وقد وجد يوحنا في الأمير الطموح أوزون حسن^(٢) خير حليف ونصير يعينه على تحقيق هذا الأمر ؛ إذ كان مثل يوحنا بنفس على الدولة العثمانية ما تحرزه من مجد وانتصارات ، ويكن لها أشد الكراهية والعداوة . غير أنه اشترط على يوحنا لمساعدته أن يزوجه ابنته كاترينه التي شغفته حباً ، من كثرة ما سمع عن جمالها وحسنها ، وقبل الامبراطور يوحنا ما طلبه أوزون حسن ، وسره أن يكسب هذا الحليف العظيم بهذا الثمن البخس ، ويبحث إليه ابنته مع أخيه داود يصحبها عدد من الوصيفات النصرانيات وجماعة من الرهبان والقسس لمعاونتها على أداء شعائر دينها . ونجح يوحنا إلى جانب ذلك في توحيد صفوف الأمراء المجاورين له - أمراء سينوب والقرمان والكرج وأرمينيا الصغرى - الذين جمعهم على اختلاف أجناسهم وعقائدهم الحقد على الدولة العثمانية ، وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بهجوم واحد عليها . وجاش في نفوس هؤلاء المتحالفين أو المتآمرين أمل قوى في قهر السلطان الفاتح وإخراجه من آسيا .

(١) يقول اللغوي العلامة الأب انستاس ماري الكرمل : « أن كتابة الامبراطور بهذا الرسم ، كما يرسمه المعاصرون لا يوافق القواعد العربية ، لأنه لا يرى في الكلم الضادية من عربية ومعربة فيها الميم ساكنة ويلها باء متحركة ، فاذا وقع مثل ذلك رسمت الميم نونا ، ولهذا يجب أن تكتب « الامبراطور » بنون ،

(٢) أمير تركاني كان يحكم آمد وديار بكر .

وحاول الانبراطور يوحنا أن يضم إلى هذه القوى الشرقية المجتمعة قوة الأوربيين في الغرب ، فتزلف إلى البابوية بالعمل على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية ، وإزالة أسباب الخلاف بينهما على الرغم من أنه في قرارة نفسه كان شديد التمسك بأرثوذكسيته ، شديد التعصب لها ، لا يؤمن بالاتحاد ولا يعتقد صحته .

وفيما كان الانبراطور يوحنا يحرك هذه المآمرة ويرسم الخطط وبعد عدة للقضاء على الدولة العثمانية ، يدفعه إلى ذلك أعظم الآمال ، ويرنو إلى المستقبل بنظرة واثقة باسمه إذ بعثه الموت في سنة ١٤٥٨ م قبل أن يشهد شيئاً مما كان أعد ودبر ، وقبل أن يشهد العاصفة التي كان يعمل على إثارتها وترك وراءه طفلاً صغيراً في الرابعة من عمره يدعى الكسيوس ، ولم يجد عمه داود صعوبة في تنحيته وأن يستبد بالحكم دونه .

واصل الانبراطور داود ما قد بدأه أخوه في تكوين تلك الجبهة المتحدة ضد العثمانيين ، وصرف كل جهده وقواه في التأهب للحرب المقبلة ، ولم يكن داود أقل من أخيه يوحنا عجباً وغروراً بنفسه ، يستخف قوة الدولة العثمانية وقوة الجيش العثماني ، ويعتقد أن أسوار مدينته طرابزون لا تقفح ، سيرتد عنها السلطان الفاتح إن هاجمها ، كما ارتد عنها غزاة من قبله ، كيف وقد اجتمعت حوله قوات أمراء الشرق ، وستناصره بعد ذلك قوات أمراء الغرب !

وكانت شؤون الروم في بلاد المورة تشغل بال الفاتح إذ ذاك ، فرأى أن ينهى أمره هناك ويقر فيها السلام ، قبل أن ينقل جيشه إلى آسيا . وبذلك نهيات لداود فسحة من الوقت امتدت سنتين قبل بدء القتال يحكم فيها أمره واستعداداته . فأنتم زواج ابنة أخيه كاترين بأوزون حسن ، فقد توفي الانبراطور يوحنا قبل إتمامه . واستطاعت هذه العروس الحسنة الذكية أن تخلب لب الأمير التركي وتسيطر على نفسه ، وأخذت توجب نيران الحقد الذي كان يتقد في صدره على السلطان العثماني وما آتاه الله من مجد وسلطان . وجدد داود المحالقات السابقة التي عقدت مع من حوله من الأمراء .

وكان البابا كاليكست الثالث Calixte III - وهو الذي أخذ منه الكرادلة ميشافا غليظا عندما انتخبوه للبابوية في سنة ١٤٥٥ ليبذل أعظم الجهد في قتال الاتراك العثمانيين - قد أرسل لوى دى بولونى Louis de Bologne - من رجال الفرنسيسكان وكان يجيد كثيرا من لغات الشرق - إلى امبراطور طرابزون وأوزون حسن وغيرهما من أمراء الشرق يدعوهم إلى الائتلاف والتضافر على قتال الاتراك . ثم عاد الرسول الفرنسى -سكانى إلى الغرب يصحبه رسل آخرون بعثهم إلى الغرب هؤلاء الأمراء الشرقيون وفي مقدمتهم ميخائيل البيجرى Michael Aligeri رسول امبراطور طرابزون ، وكان يحمل رسالة خاصة من سيده للبابا عدد له فيها الجيوش الجرارة التى أعدها هو وأمراء الشرق لقتال العثمانيين ، ورسالة أخرى لفيليب لبون Philippe le Bon دوق بورغندي أشد أمراء أوروبا تحمسا لقتال الاتراك .

سلك هؤلاء الرسل فى رحلتهم إلى الغرب طريق البر وعرجوا على البحر والنمسا ، وعندما وصلوا البندقية استقبلهم الناس بحماس عظيم وحفاوة بالغة ، وهم يحدقون بأبصارهم فى تطلع واستغراب إلى ملايهم الشرقية الفضفاضة . ومن البندقية شخصوا إلى روما ، وكان البابا كاليكست الثالث قد تولى وخلفه البابا باى الثانى Pie II ، وكان يفوق سلفه فى الحماس إلى قتال الاتراك ، فاحتفى بهؤلاء الرسل وأكرمهم وقدم لهم رسائل توصية للملوك أوروبا . وبعث برسالة خاصة إلى دوق بورغندي بوصيه فيها أن يحسن لقاء أولئك الرسل ويكرم وفادتهم ويستحثه على التمجيل فى القيام بالحملة الصليبية ، وأن لا يكون أقل همة وبلاء فى هذا السبيل من أمراء الشرق .

وفى شهر مايو من سنة ١٤٦١ كان هؤلاء الرسل الشرقيون فى باريس لدى بلاط الملك شارل السابع ، وذكروا له أن أمراء الشرق قد استجابوا دهوة أهل الصليب ، وأنهم قد عقدوا العزم على قتال العثمانيين ، وطلبوا منه أن تشارك فرنسا

بجنودها في هذه الحملة . ومن هناك ذهب هؤلاء الرسل إلى سان أومير Saint Omer (في شمال فرنسا) حيث التقوا بفيليب لوبون دوق بورغنديا . ولم يكن هذا الدوق في حاجة إلى من يثير حماسه ويحثه على قتال العثمانيين ، فقد كان في مقدمة من دعا إلى طردهم من أوروبا قبل استيلائهم على القسطنطينية ، فكيف بعد استيلائهم عليها ؟ وسلم إليه ميخائيل اليجري رسالة سيده الانبراطور داود وفيها يحضه على الائتلاف والتحالف بين أمراء الشرق وأمراء الغرب والتألب على العدو المشترك ، ووعد داود بأن يعاونه — بعد إحراز النصر على الأتراك — على تنويجه ملكا على بيت المقدس .

وكانت الخطة المرسومة بين المتآمرين هي أن يهجم أمراء الغرب من ناحيتهم على حدود الدولة العثمانية ، ويزحفون إلى الشرق ، ويهجم أمراء الشرق من ناحيتهم على حدود الدولة العثمانية ويزحفون إلى الغرب . ويقع العثمانيون بذلك بين فكي . كاشه ، واسعة تضغط عليهم من هنا وهناك وتعصرهم عسراً لا تبق منهم على أحد إلا أن ينفلت إلى البحر ا وعاد هؤلاء الرسل بعد تطوافهم بأوروبا إلى روما .

وكانت جنوا تملك فيما تملك من مستعمرات في الشرق مدينة ، إاصرة ، في آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود و . كفه ، بشبه جزيرة القرم .

وتعد هاتان المستعمرتان وبخاصة الأخيرة منهما ، من أهم المراكز التجارية لجنوا في الشرق . ولم تكن البابوية من جانبها أقل اهتماما بمصير هذه المستعمرات الشرقية إذ كانت تنظر إليها على أنها مواقع أمامية للصراينة ، فأخذت تمد الجنوبيين بالاموال عوناً لهم على الدفاع عن هذه المواقع . وأخذت من جهة أخرى تعمل على إنجاح تلك المؤامرة الكبرى التي لا نعرف لها نظيراً في التاريخ والتي انتقلت فيها الروح الصليبية بالمصلحة التجارية والاحتماد الشخصية على الدولة العثمانية .

من قريح بدر

لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد حسن كحيل

مبعوث الازهر بالمدينة المنورة

[قنا برحلة دراسية من المدينة المنورة إلى بدر ، ثم ينبع ،
فرأيت أن أرسم صورة صحيحة لبدر ، وأتبع الطريق النبوي إليها ،
وأصور ما شاهدت فيها لحضرات القراء ، وأسجل ما جال في قلبي
من آلام وآمال] .

قد كانت بدر الممركة الفاصلة بين الحق والباطل ، والموقعة الحاسمة بين الإيمان
والشرك ، ضرب فيها الكفر على هامه ضربة خفت لها صوته ، وتقطعت أنفاسه
ولم تقم له قائمة بعدها ، وقويت شوكة الإسلام وتألق سناه وامتد لواقه ، ومن
يومئذ وهو يزداد عزا وقوة وتأيدا : حتى تكونت الامبراطورية الإسلامية ،
فعلى أكتاف أبطال بدر وبطبي سيوفهم وأسلات رماحهم قامت الدولة الإسلامية
وانتشر الإسلام من الصين شرقا الى الاطلس غربا ، ولو قدر لهذه الفئة المؤمنة
أن تنهزم يومئذ لحبا ضوء الإسلام ، وأفل نجمه وقتلت الدعوة المحمدية وهي
لا تزال في المهد . وهذا ما كان بحسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمن به
وقت أن حى وطيس التمثال فوقف في العرش يناجي ربه ويضرع إليه فيقول :
« اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة المؤمنة اليوم لا تعبد
في الارض أبدا . » ولهذا المعنى تجلى الله على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم . فن
ذا الذي يذكر بدرًا ولا يتلفت الى هذا التاريخ الحافل والعز الغابر والمجد الدائر
أيام كانت القلوب مؤتلفة والشمل مجتمعا ؟ من ذا الذي يذكر بدرًا ولا يذكر
تلك القلوب العامرة بالإيمان ، الفياضة بالإخلاص ، وتلك النفوس الزكية التي
ضربت أروع المثل في التضحية والبذل ؟

من ذا الذي يذكر بدرًا ولا يذكر كيف يفعل الإيمان بالنفوس ، فيخلق

من الضعف قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الخور شجاعة وعزما ، وإقداما وحزما ٢٢ . . من الذى يذكر بدرا فلا يهوى إليها قلبه ، ولا يهوى إليها فؤاده طلبا للذكر ، وشوقا إلى تلك السهول والربا التى طالما هبطت عليها الملائكة ، وسالت على بطاحها دماء المسلمين ، ورفرفت فى أجوائها أرواح الشهداء ٢٢ . .

° ° °

خرجنا إلى بدر - وقلوبنا تسبقنا - نلتمس العظة والذكرى ، ونبتغى غذاء الروح والعقل ، ففيها عظات بالغات ، وحياء للعقول ومتمعة للأرواح وجلاء للقلوب ، وما أحوجنا فى هذا العصر لتلمس العظات بين أطلال الماضى وفى زوايا التاريخ علنا نجد قبسا يهذى الأمة الإسلامية وينقذها من ضلالها . ويبدد تلك الغياهب التى اكتتفتها ، ويمنحها المطامع والشهوات التى فرقها !! والحكمة عالية أمرنا الله أن نضرب الأرض نتبع تاريخ الأولين وآثار الغابرين .

ولقد كننا فى رحلتنا حريصين على أن نتبع الطريق النبوى إلى بدر لنعرف مقدار ما عاناه الصحابة من جهد وما تحملوا من نصب . فبعد أن خرجنا من المضينة إلى وادى العقيق مررنا فى طريق الحاج إلى مكة فمررنا بذى الحليفة وعرق الظبية وهى جبل قبل المسيجيد بأربعين ميلا تقريبا ، وفى هذا المكان قتل الرسول أحد الأسرى واسمه عقبة بن معيط ، ثم مررنا بالروحاء وهى قبل المسيجيد بعشرة أميال تقريبا يقال لها بئر الراحة ، وقد نزل بها الرسول .

ثم واصلنا السير إلى المسيجيد ، والسهل الفسيح الذى تقع فيه المسيجيد ، هو الذى كان يقال له المنصرف . وفى هذا المكان قسم الرسول الغنائم ثم تركنا طريق مكة إلى يسارنا وملنا ذات اليمين فقطعنا وادى رحقان عرضا ، ثم دخلنا فى وادى الصفراء وسرنا فيه مسافات مررنا خلالها ببيض الخيوف ومنها خيف الحزamy ، فلما وصلنا إلى خيف الحمراء وجدنا أن الطريق النبوى اتجه إلى وادى ذفران ، وهو واد يتصل بالصفراء ولا يصلح لمرور السيارات ، فاضطررنا إلى أن نواصل السير فى وادى الصفراء وهو طريق عودة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولقد وقفنا فى هذا المكان ، حيث يتصل وادى ذفران بوادى الصفراء ، نستوحيه العبرة ، ونستلهمه العظة ، فقد جرت فيه أروع حوادث التاريخ وتجلت

فوقه أعظم مظاهر الإيمان وآيات البطولة الخالدة ، إذ بلغ المسلمين في هذا المكان أن قريشاً خرجت في جيش جرار لتحمي تجارتها ، وتدافع عن هيبتها ، والرسول مع أصحابه قلة لم يخرجوا لقتال ولا لحرب فإدا هم فاعلون ١٩

عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي ذفران مؤتمراً يجمع المسلمين يستشيرهم في الأمر إذ أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن طاغية مستبداً برأيه بل كان قائداً حكيماً . فقال عليه السلام : أشيروا علي . فقام أبو بكر فتكلم خمس وقام عمر فتكلم خمس ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ! إمض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ وسكت . ثم التفت الرسول ناحية الانصار وقال : أشيروا علي وكان يريد رأى الانصار الذين بايعوه يوم العقبة ، فقام سعد بن معاذ صاحب راية الانصار فقال يا رسول الله : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . ؛ فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك وما تخاف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ؛ فما انتهى سعد من كلامه ، حتى أشرق وجه رسول الله بالسرور ، وقال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين !! لله تلك النفوس المؤمنة !!! ثلاثمائة رجل يخرجون للاستيلاء على تجارة قريش التي أخرجتهم من ديارهم ، واستلبت أموالهم ، وفتنتهم عن دينهم ، ولم يخرجوا للحرب ولا لقتال ، ثم يعلمون أن قريشاً خرجت إليهم في جيش كثيف العدد ، سايع الدروع وافر العدة ، فلا تزلزل قلوبهم ولا ينتنون عن قصدهم بل يصمدون للعدو ويحرسون على نزاله !! .

إن هذا في لغة عصرنا تهور وانتحار ، ولكنه في لغة العصر الاول نضحية وإيمان .

قلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم سلك في عودته من بدر وادي الصفراء ولم يرجع من وادي ذفران وفي هذا الوادي — الصفراء — دفن عبيدة بن الحارث

ابن عبد المطلب أحد الأبطال الثلاثة — على وحمزة وعبيدة — الذين خرجوا لمبارزة عتبة وشيبة أبي ربيعة والوليد بن عتبة . فأصيب عبيدة بجراح ظلت تنزف دماً ، واستشهد في الطريق وهم عائدون الى المدينة متأثراً بجراحه ولا يعلم على وجه التحقيق الموضع الذى دفن به ، وكل ما يقال عنه إنما حدى ورجم بالغيب لا يعتمد على شاهد ثبت ولا تحقيق تاريخى صحيح .

واصلنا السير فى وادى الصفراء متجهين غرباً ، وقد يميل بنا الوادى ذات اليمين وذات الشمال ، وقد ينفرج ويتسع حتى يعظم اتساعه وقد يضيق حتى يشتد ضيقه .

وفى هذا الوادى الى بدر تكثر العيون التى يجرى منها الماء ويتدفق غزيراً فيروى ماحولها من نخيل ويطاق على كل عين وماحولها من نخيل ، خيف ، وأهم خيوف هذا الوادى خيف الخزائى وخيف الحمراء وخيف أم ديام وخيف الواسطة .

ومن الغريب أنه لا يروى من ماء هذه العيون إلا النخيل ، مع أن كثيراً من أرض الوادى صالحة لزراعة العاكة والخضر . لا يريدون أن هذا الوادى غزير المياه ، طيب التربة : لو عنى به ، وغرست فيه أشجار العاكة ، وزرعت به بعض الخضر ، لدر الخير على أهل البادية ، ولا طعمهم من جوع ، وكفاهم من عوز ، وأغناهم من فقر . بل لقام بكفاية المدن ، فعسى أن يظفر هذا الوادى بحظ من عناية الحكومة السعودية واهتمام رجال الزراعة ، كما ظفر التعليم فيه بعناية المعارف ، فأنشئت فيه المدارس القروية والابتدائية لمحاربة الجهل ، فلم يست محاربة الفقر ومكافحة الجوع بأهون قدراً وأقل خطراً من محاربة الجهل !!

ولقد سرنا ما رأيناه من إقبال أهل البادية على التعليم ، وكما كان جيلاً أن نرى أبناء البادية وهم يخترقون الأودية ، ويتسلقون الجبال ، وينحدرون فوق الهضاب عند انصرافهم من المدرسة .

وفى الواحدة مساء قبل العشاء ، كننا نندفع من مضيق الصفراء إلى سهل بدر فنطرق أبواب هذه القرية الهادئة النائمة الغارقة فى ذكريات التاريخ فكم سجل لها

التاريخ نغرا ، ورفع لها بين المدن والأمصاير ذكرًا لا يذكر حق منتصر ،
ولا باطل منكسر ، إلا وذكرت بدر ! ولا يذكر تعاون واتحاد إلا كانت بدر
مثلا ! ولا يذكر تضحية وإيمان إلا كانت رمزا وعلما !!

وكان أول من استقبلنا فيها مدير مدرستها ، وهو شاب يفيض نشاطاً وأريحية
وكرما ، فوضعنا رحالنا في المدرسة وقضينا صدر ليلتنا نسعر ونتجاذب أطراف
الحديث حول بدر وما فيها من آيات وعبر بالغات !! وكانت أكبر عبرة تمثلناها
وأحسنناها أننا وصلنا بدرا بعد رحلة دامت سبع ساعات ، وقد أجهدنا السفر
وبلغ منا التعب مداه ونال الكلال غاية ومفناه ! — مع نخامة المركب ولين
الفرش وغدوية الماء ونوفر أسباب المتعة والراحة ، هذا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه يسلكون هذا الطريق وهو وعزم يمهّد وصعب لم يذل ، ويقطعون
معظمه سيراً على أقدامهم ! أي والله سيراً على أقدامهم ! إذ لم يكن إلا سبعون
بعيراً تحمل زادهم ومتاعهم فكأوا يعتقبونها كل ثلاثة أو أربعة أو خمسة
يتناوبون بعيراً حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أسعد حظاً من أصحابه
فقد قطع ثلثي الطريق سيراً على قدميه ، كان يتناوب بعيره مع علي بن أبي طالب
ومرقد الغنوي ، ويقطعون هذه المرحلة القاسية في ثمانية أيام ثم لا يجدون في
انتظارهم — كما وجدنا فراشاً وثيراً ولا طعاماً شهيياً !! بل يجدون عدواً صعب
المراس شديد الشماس متقد الخماس شاكي السلاح لا يملهم حتى يستريحوا من
وعناء السفر ووعورة الطريق ، بل يصبحهم في اليوم التالي فيخوضون معه المعركة
ذابين عن دين الله مجاهدين في سبيل الحق يلتقون شبا الا سنة وظلمات السيوف
بنحورهم ويستقبلون شائك السهام بوجوههم وصدورهم لا يشكون ظملاً
ولا يبدون تعباً .

فإن أين لهم هذه القوة التي بهرت العدو وفرقت شمله وفلت حده !! إنها
قوة اليقين وحرارة الإيمان وسلطان الحق وروح من عند الله أمد بها جنده ،
ونصر بها عبده وصدق بها وعده ! سيهزم الجمع ويولون الدبر ! .

عظمة الهجرة

لفضيلة الأستاذ المنشاوي عبود الخولى

المدرس بمعهد القاهرة

تعنى الأمم بذكر الحوادث الجسام ، لما لها من التوجيه الحازم فى حياتها والاساس القويم فى تكوين نهضتها والاثر الخالد فى عزها وإسعادها . وإذا نظرنا إلى موضوع الهجرة ، وجدناه حادثاً فذاً فى تاريخ الإنسانية ، يجمع من السمو والعظمة ما تتضام أمامه قوة الحوادث وتلاشى روعتها . فهو أرفعها شأنًا ، وأنبها قصداً ، وأوسعها يمتاً وإقبالا ، لذا كان أولى بالتقدير والإكبار ، وأحق بالتقديس والإعجاب .

وقد تضمن هذا الحادث الخطير أموراً جليلة يصح كل منهما أن يكون مثلاً كريماً للبدء القيم ، والهدى الرشيد ، والعظة النافذة ، والحكمة البالغة .

فقد نشأ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقعة من بقاع الارض حُجبت عنها أنوار المعرفة ، وغابت شمس الهداية ، وأظلمت الناس بحجب قائمة من الباطل الآثيم ، والضلال البعيد . وطبعت على الشر نفوسهم ، فعكفوا على عبادة الاوثان ، وتدنسوا بروجسها ، وارتكسوا فى حضيض الشهوات ، وخف فى العلم وزنهم ، وطاش فى تقدير الامور سهامهم فحسبوا الشرك ديناً ، وسفك الدماء شجاعة وانتهاك الحرمات إقداماً وأد البنات عفافاً وشرفاً . وخيل إليهم أن هذا نهاية ما تصل إليه الإنسانية من رفعة وكال . فن تنكب سييلهم أجمعوا على محاربهه والسكيد له حتى يتخبط فى أهوائهم ويخوض باطلهم ويركض فى ضلالهم .

لكن الإله جللت قدرته جعل نبيه خلفاً آخر فاصطفاه طيب العنصر ، نقى الجوهر ، وفطره على الإيمان الكامل ، والخلق الماجد ، ورضيه أن يكون أمين وحيه ، ومبلغ شريعته .

وإنما اختار الله نبيه من تلك البيئة التي هي أبعد البيئات عن المدنية والحضارة ليكون ذلك معجزة كبرى ، وآية عظيمة تدفع إلى الإيمان به والتصديق برسالته .
صدع الرسول بأمر ربه ، وهانت عليه نفسه في سبيل طاعته ، ودعا قومه إلى التشرف بعبادة الله وحده ، والتخلص من أدران الوثنية . وأقام على ذلك من الدلائل ما يتفق هو والفطرة البشرية ، وأحاطهم إلى مراكز في نفوسهم ، وما تدركه حواسهم ، فاستجاب لدائه نزل يسير فتحو أعينهم لنوره فاستضاءت به وقلوبهم لهديه فلأها حكمة وأمنا ، وسداداً ورشداً . لكن الأغلبية الساحقة أخلدوا إلى الأرض ، وصرفوا أبصارهم ولووا رؤوسهم ، وأصموا آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا على هنادهم ، واستكبروا استكباراً .

بكل هذا لم يهتج عاطفة الرسول ضدهم ولم يمنعه من الحذب عليهم . والاهتمام من كريم العفة على هدايتهم ، فالنزم معهم ما يسديه الطيب إلى المريض .

وليت أمرهم وقف عند هذا الحد . بل أمعنوا في السكيد له ، وسلطوا عليه من أنواع الإيذاء ما سوله له نفوسهم ، ووسفته قدرتهم ، وجدوا في إيقاظ الفتن حوله ، وتآليب العرب عليه ، وتغيير الناس من دعوته ، ووضع العقبات في سبيلها ، وعاملوه مع أقاربه معاملة المنبوذين ، وحاصروهم حصاراً اقتصادياً كما يفعل اليوم في عصر هذه المدنية العاتية الطائشة ، وقسوا في الانتقام من أصحابه ، وتربصوا بهم الدوائر ، وقعدوا لهم كل مرصد ، ولم يتحصن هؤلاء الضعفاء إلا بقوة الإيمان ، وكان برء اليقين يطفئ نار الآلام .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

أبواب الرسل بعد هذا أن جذور الشر تغلغل في نفوسهم فأوصدت دونهم
أذانهم بحلفه إنله أن جرف سيل الباطل حواسهم وأمدد آدميتهم (لهم قلوب
دست مصالك الهداية ، فليس من الحكمة إذن أن يستمر على قرع

لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (حقاً لقد كانوا أخس من الأنعام فإنها لا تحمل ضغناً لمن أحسن إليها . أما هم فكان جزاء إرشاده لهم أن أجمعوا على المنكر في ناديم ودبروا مؤامرة لاغتياله والقضاء عليه قبل أن يعظم أمره فتستعصى عليهم معالجته ، لكن عين ربه تكاؤه وعنايته ترعاه ، وقد أعطاه أماناً موثقاً بقوله (والله يعصمك من الناس) ، لا شك أن الرسول يثق بجودة تعامله وصلاحيته إلى حد تقصده سوابق الأوهام ، غير أنه قد ظهر لديه أن قلوبهم قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فتشوقت نفسه إلى أفئدة خصبة يودعها بذوره الطاهرة لتنبث أصلاً قوياً ، وغرساً كريماً ، وتؤتي أكلاً مضاعفاً .

وهذا أقوم إرشاد لكل مصلح يؤمن بقيمة مبادئه ويبتلى بأناس لا يرفعون لها رأساً ولا يقيمون لها وزناً .

لذا كان من رحمة الله بنبيه أن أذن له في الهجرة إلى بلد يتفانياً فيه ظلال الأمن ويستشقى نسيم الحرية ، ويستمتع بجلال الإيمان وعزته ، وصفائه وروعته ، ويحمد بيئته صالحة متسعة الأفق ينشر فيها روحه المقدس ، وهديه الحكيم .

هكذا أمر الرسول بالارتحال من قراره المكين ، وحب الوطن لاصق بنفس كل إنسان فقد أظلمت سماؤه وأرواه ماؤه ، وهو مشوى الأهل والعشيرة ومدرج الطفولة ، ومرتع الحداثة ، ومسرح الاحبة والحلان .

لكن محمداً عليه السلام قد أنساه شرف الغاية كل هذه الأمور واستأنس بلذة الطاعة ، وتجرد من جميع حظوظه ، وأسلم وجهه لله محسناً في تنفيذ أمره .

والهجرة ماجاً أمين لكل مضطهد في رأيه ، محارب في عقيدته . ربما يخطر على بعض الأذهان أنه ما دام النبي يؤدي رسالة ربه . ويبلغ دينه فلم لم يُسبَغْ بالمعونة فيجعل له من قومه ظهيراً وسنداً ؟

ولا يخفى أنه لو حصل هذا لارتاب الناس في أمره وقالوا فكثرة أديعها محمد واتفق عليها مع أهله وأحاطها بسياج من الهيبة والحلال .

أما وقد وقع أن حاربه أقرب الناس إليه ، وانصره أبعدهم عنه . فإن شمس الإيمان به تبعد ظل الشكوك والأوهام .

وجد الإسلام في المدينة ملاذا حصينا . وركنا رشيدا . فرسخت قوائمه . وامتدت فروعه فصار يغزو القلوب متحكما فيها والضماير مهيمنا عليها وظلت حرارته تصهر غيوم الشهوات وتكسر أشواك الشك حتى ظفر الناس بروض اليقين ، ونعموا بعزة الملوك وطهارة الملائكة ، من هذا يتبين أن حادث الهجرة فيفصل التفرقة بين الضعف والقوة والذلة والعزة ، كما تمثل صراعا عنيفا ، دار بين الحق والباطل وأن الأخير مهما كان أمضى سلاحا وأعز نفرا ، لا بد أن يكتسحه طوفان الحق عملا بسنة الله الخالدة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

أيها المسلمون : ليس المقصود من ذكرى الهجرة أن تنشد القصائد وترتل الكلمات مع الغفلة عن موضع العبارة منها ، فإن أخشى إن صنعنا ذلك أن ندخل في قول الله سبحانه : (وكأى من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) إنما الواجب أن يأخذ كل منا نفسه بسيرة صاحب الهجرة ، فقمه بنجحت دعوته بمقيدته الراسخة ، وسياسته البارعة ، وعزيمته الماضية ، وصبره الذى افتحم به المحن وقهر الأموال ، فخرج منها ظافراً منتصراً كالسبيكة الخالصة لا يجد الناقد الألمى فيها مغمرا .

والهجرة ، وإن انتقضت بصورتها وشكلها ، إلا أنها باقية لجميع المسلمين بروحها وجوهرها ، فلزام عليهم أن يهجرُوا أسباب غضب الله وموجبات سخطه حتى لا ينزل بهم ما حل بغيرهم من الأمم التى انحرفت عن الهدى الإلهى فتردت في هاوية الشقاء وعوقبت بحرب ضروس تحصد الناس حصدا ، وتستأصلهم إستئصالا ، تركت الأطفال يتامى والفساء أرامل ، فجعت النفوس ، وأدمت القلوب ، وسلبتها لذة العلمانية والأمن ، وأكلت الأخضر واليابس ، وأصلت المدن الزاهرة التى تأخذ زينتها بالابصار ، وتستهوى الأبواب ليلا بهيما ، وحطاما بالياً ، ومشيا تذروه الرياح (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذنه أليم شديد) .

شواهد البلاء

والإعجاز في القرآن الكريم

أفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس بكلية اللغة العربية

القرآن كتاب الله المعجز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
تنزيل من حكيم حميد .

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الاولى
والآخرة ، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة ؛ فقصت على الاوهام الباطلة ،
والاساطير الكاذبة ، والعبادات الضالة ، والأديان المنحرفة ، وأحالت الظلام
ضياء ، والشفاء سعادة ، واليأس أملا ، والضلال هدى ، والجهل علما ومعرفة
ونفاة ، نهل من معينها الزاخر كل من رغب في الخير ، وطمح إلى النور والهدى
والامن والسلام ؛ ونفقت البشرية من الفوضى والطغيان والعبودية وسفك
الدماء ونهب الاموال وهتك الأعراض ، إلى حياة فيها رضا وطمأنينة ، وحرية
وعدل وإخاء ، ومعرفة ، وعمران ومدنية ، وحدود ، ومزائج ، ونظم وضعت
لإعادة الناس والجماعات والشعوب والإنسانية قاطبة .

قبس من الهدى والنور ، نزل به جبريل من السماء إلى الارض ، على سيد
الخلق ، وأكرم الرسل ، محمد صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ، وأشر به العرب
والبشر كافة ، وهدى به الدنيا كلها ، وفتح به صفحة جديدة في تاريخ العالم كله ،
وأخذ الناس من ضلال الجاهلية الاولى .

تصوروا الشعر ما تصوروه ، فلما سمعوا آياته البينة ، وبلاغته المتدفقة ، ورأوا
هدايته النادرة ، وفصاحته الباهرة ، وما فيه من روعة التصوير ودقة التعبير ،
وشدة التأثير ، قالوا : إى والله إنه لشعر شاعر ، وسحر ساحر ، إن هذا إلا سحر
يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، وكذبوا وأبىم الله ، فما هو إلا وحى يوحى ،
ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى على مر العصور .

إن أسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة ، وجلالة الروح ، وإشراق البيان ، وجمال الديباجة ، وقوة المطلق ، وعبقرية التصوير والتعبير .

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة ، والقوة والعذوبة ، وحرارة الإيمان ، وتدفق البلاغة ، فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين .

نزل الذكر الحكيم في أسلوب لا يضارعه أسلوب ؛ فلا هو شعر ولا هو سجع ، ولا هو مزاجية ، ولا هو نثر مرسل ولا خطابة . إنما هو نظم رائع ، وألفاظ عذبة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيان ، وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الإعجاز .

تحدى الله به العرب فعجزوا ، فتحداهم بسورة منه فبهروا ، فتحداهم بأقصر سورة فغرسوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا له خاشعين .

وما إيمان عمر حين سمع د طه ، ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله : « والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة » (١) حين سمع د فصلت ، ، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يتعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ؛ ما كل ذلك إلا مظهر الإعجاز الذي شهد به العلماء والبلغاء على مر الأجيال . يقول الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن :

« إن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، واختلاف مذاهبه ، خارج عن المجهود من نظام كلام العرب ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ؛ وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه ، عن أساليب الكلام المعتاد ؛ وليس للعرب كلام شتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة ؛ على هذا الطول ، وعلى هذا القدر ؛ فهو على ما وصفه الله تعالى به : « الله نزل أحسن الحديث ، كتابا متشابها مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ،

ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ، ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً . .

ذلك إلى أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها .

وهناك شيء آخر ، وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، بهذه الأساليب البليغة ، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ، وقد علم أن تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المألوفة أسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مستحدثة ؛ وبراعة اللفظ في المعنى البارع أعجب من براعته في المعنى المتداول .

وبعد فإنك تجد في كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب ، مجلوة عليك في منظر بهيج ، ومعرض رشيق ، ونظم أنيق ، غير متعاص على الاسماع ، ولا ملنو على الافهام ، ولا مستكره في اللفظ ، يمر كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ، كالروح في البدن ، والنور في الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر ، والصبح المبين .

وخصائص القرآن البيانية ، وما اشتمل عليه من روائع الحكم والأمثال ، وبلغ الجواز ، ودقيق التشبيه ، وجيد الاستعارة والسكناية ، وساحر الطباق والجناس ، ومحكم الإيجاز والأطناب المفيد ؛ كل ذلك كثير جداً ، إلى حد يصعب بيانه إلا في مؤلفات ضخمة .

أما أغراضه ومقاصده فحسبك أنه قد جال في كل غرض في الاجتماع والسياسة والحكمة والقصص والزهد والأدب والتعليم والإرشاد والوعيد والوعيد ، وفي الدين والتشريع والتوجيه ، وهو في كل ذلك كتاب الله الحكيم المعجز الصادق .

وأما معانيه فحسبك ما تشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ، وهي من غير معين العرب الذي ينهلون منه ، لا طمثنان النفوس إليها ، وارتياح

القلوب لها ، ولما تشتمل عليه من الحجة الباهرة ، والأدلة الساطعة والاحكام الصائبة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية السماء .

وأما ألفاظه فحسبك جزالتها وقوتها ، مع السلاسة والعدوبة ، ومع البعد عن الوحش والغريب النافر والسوقى المبتذل والبعيد المعقد ؛ فوق ما تتحلى به من سحر وجمال ، وما تنطوى عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والإعجاز . وأما بلاغة القرآن فهي حديث الدنيا ، والقضية التي سلم بها أساطين البيان ، وغول البلاغة ؛ رأيت هذا التحدى مع العجز الواضح ، ومع الخزي الآليم ؟ وهل سمعت قصة الوليد بن المغيرة ، وقد تردد على محمد خفية وخيفة ، وسمع منه ثم قال لقومه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى نقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه . مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه . ثم رأيت هذا الأعراى وقد سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر ، فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته ؟ »

ولعلك تعلم أن العرب أمة تحب البلاغة ، وتعشقها ، وتجيدها ، ويهزها البيان الجيد ، وفيها مصاقع الخطابة ، ومقاول الفصاحة ، وأعلام الشعر ، لا تحسب سحر البيان إلا لها ، وبلاغة الكلام إلا وقفاً عليها ، وكانت كما يقول الجاحظ : أكثر ما كانت شاعراً وخطيباً : وقد دعاهم فمعجزوا ، ثم تحدى به أقصاهم فشدهوا ، ثم حاروا في وصف بياضه وإعجازه ، وخروا لحكمته ساجدين . أفليس ذلك كله مع ما قدمناه لك أدلة الإعجاز وشواهد ، وحجته وبرهانه ؟ ألسنت إذا حاولت أن تبحث عن أثر أدبى خالده على مر الأيام والعصور ، تجد فيه الإنسانية هداها ، والفضيلة مبتغاها ، والنفس البشرية رشدتها وسعادتها ؛ لا تجد أمامك إلا القرآن الكريم ، والذكر الحكيم ؟

أيها القلم قف ، فبلاغة القرآن وإعجازه فى غنى عن الدليل ، ومتى تحتاج الشمس فى وجودها إلى برهان ؟ وسر بلاغته وإعجازه يستعصى على البيان ، ويدق على الفهم ، ويعلو على العقول ، لأنه آية الله ، والمعجزة الخارقة التي اختص بها رسوله الأعظم محمداً صلوات الله عليه و

منابع التصوف الإسلامي

الدكتور ينولد ا. نيكلسون
تعريب الاستاذ نور الدين شريفة
خريج كلية اللغة العربية

برهن البحث الحديث على أن أصل الصوفية لا يمكن أن يرد إلى سبب واحد محدود . ومن هنا لم يراض باحث منصف ، هذه التعميمات الجارفة ؛ من أمثال : أنها رد فعل العقل الآري تجاه الدين السامي الفاتح ؛ أو أنها ليست إلا نتاجا خالصا للفكر الفارسي أو الهندي .

وأمثال هذه الأحكام — وإن يكن لها نصيب من الصحة — تغفل البديهية التي تحتمل لإقامة رابطة تاريخية بين (ا) وبين (ب) أنه لا يكفي أن تستدل بشبه أحدهما للآخر ، من غير أن تبين في الوقت عينه :

١ — أن صلة (ب) الفعلية مع (ا) بحيث تحمل النسبة المدعاة جائزة .

٢ — أن الغرض المحتمل متفق مع جميع الحقائق المؤكدة المدعومة .

وهذه الآراء ، التي ذكرت ، لا تقوم لهذه الشروط . فإن لم تكن الصوفية شيئاً غير أنها ثورة الروح الآرية ، فكيف نفسر الحقيقة ، التي لا سبيل إلى الطعن فيها ، من أن بعض كبار رواد التصوف الإسلامي من أهل سوريا ومصر ؟ وأنهم عرب الجنس ؟

وكذلك يغفل المتحمسون للأصل البوذي ، أو الفيدى : عن أن التيار الرئيسي ، للأثير الهندي على الحضارة الإسلامية ، ينتمي إلى عهد متأخر ؛ مع أن علم الكلام ، والفلسفة ، والعلم في الإسلام ، قد آتت بواكيرها الغضة ، فوق تربة أشربت الحضارة الإغريقية .

والحق أن الصوفية شيء معقد . ومن هنا لم يكن في الطوق أن يقدم جواب بسيط في السؤال عن أصلها . ولعلنا أن تقرب من الجواب إذا حددنا القوى

والحركات المختلفة ، التى صاغت الصوفية ، وحددت الاتجاه الذى صارت إليه ، فى عهود نموها الباكورة .

ولنعتبر أولاً أهم التأثيرات الخارجية ، تلك التأثيرات غير الإسلامية ، وأهمها :

١ - المسيحية

من الجلى أن ميول الزهد والتأمل ، التى أثمرت إليها ، كانت على وفاق مع النظرية المسيحية ، ومنها استمدت أسباب قوتها . فكثير من نصوص الإنجيل ، ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح ، مقتبس فى أقدم تراجم الصوفية . والراهبة المسيحيون كثيراً ما يظهرون فى مقام المعلمين ، يولون النصح والتشديد لزهاد مسلمين متقلبين . وقد رأينا أن ثوب الصوف — الذى منه جاء الصوفى — مسيحى الأصل ، ونذور الصوم عن الكلام ، والذكر ، ورياضات الزهد الأخرى ، لعلها أن ترد إلى هذا الأصل نفسه . وفيما يتصل بمذهب الحب الإلهى ، ندع هذه المقطوعات تترجم عن نفسها :

« روى أن المسيح مر على طائفة من العباد ، وقد احترقوا من العبادة ، كأنهم الشنان البالية ، فقال : « ما أنتم ؟ » قالوا : « نحن عباد » ، قال : « لاي شيء تعبدتم ؟ » قالوا : « خوفنا من النار نخفنا منها » ، فقال : « حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم . » ثم جاوزهم ، فر بأخريين أشد عبادة ، فقال : « لاي شيء تعبدتم ؟ » فقالوا : « شوقنا إلى الجنان ، وما أعد فيها لأوليائه . فنحن نرجو ذلك » ، فقال : « حق على الله أن يطيعكم ما رجوتهم . » ثم جاوزهم فر بأخريين يتعبدون ، فقال : « ما أنتم ؟ » قالوا : « نحن المحبون لله ، لم نعبده خوفاً من ناره ، ولا شوقاً إلى جنته ، ولسكن حباله وأعظيما لجلاله . » فقال : « أنتم أولياء الله حقاً ، معكم أمرت أن أقيم ، فأقام بين أظهرهم . وفى لفظ آخر أنه قال للأولين : « مخلوقا خفتم ، ومخلوقا أحببتهم . » وقال لهؤلاء : « أنتم المقربون ، »^(١) .

(١) أبو طالب المكي : قوت القلوب . ٣ ص ٨٢ س ١٣ - ١٩ المطبعة المصرية .

حدث أحمد بن أبي الحواري^(١) قال : « قلت لراهب : « أى شيء أقوى ما تجدونه فى كتبكم ؟ » . قال : « ما نجد شيئاً أقوى من أن تجعل حبلك وقوتك كلها فى محبة الخالق »^(٢) .

وسأل بعض الزهاد راهباً آخر : « متى يكون الرجل أكثر إمعاناً فى العبادة ؟ » فأجاب : « حين يملك الحب قلبه ، فليس له عندئذ من مسرة ولا رغبة : إلا فى العبادة المتصلة . »

وتأثير المسيحية — من خلال أحبارها ، ورهبانها ، وفرقها الخوارج ، من أمثال فرقة « المصلين »^(٣) Euchitae ، — ذو وجهين . زهدى ، وصوفى . والتصوف الشرقى المسيحى : كان — على أى وجه — يحوى عنصراً وثنياً . فقد تشرب منذ بعيد أفكار أفلوطين ، واصطنع لغة المدرسة الأفلاطونية الحديثة .

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي الحواري الدمشقي ، من أهل دمشق ، يروى عن وكيع ابن الجراح الكتب ، وعن الولد بن مسلم وصحب أبا سليمان الدراقي وحفظ عنه الرقائق . انظر الأنساب للسمعاني ص ١٨٠ طبع ليدن سنة ١٩١١ فى سلسلة « جبب » Gibb ، التذكارية .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ص ١٠ ص ٨ ص ٧ - ٩ مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٣٨ .

(٣) « المصلون » Euchitae ، فرقة مسيحية غالية ، من الهرطقة ، يقوم مذهبها على أن الصلاة المتصلة يمكن أن تجتث أصل الخطيئة وتبلغ بالإنسان حد السكالات الروحية والتحقق . وقد قاموا بنشر مذهبهم ابتداء من النصف الثانى للقرن الرابع الميلادى حتى القرن السادس . بل إن تأثيرهم لامتد إلى ما بعد ذلك . وهم يعتقدون أن كل إنسان قد وكل به شيطان يقويه على الوقوع فى الآثام ؛ وليس التعميد بكافٍ فى طرد هذا الشيطان ، إنما يبحث التعميد هذا الآثم من ظاهره ويدع جذوره غائرة فى أعماق النفس . والدواء العائى لذلك هو الصلاة المتصلة ، حتى يحس الإنسان إحساساً قوياً أن شيطانه قد فارقه . وقد تشاهد حينئذ الروح القدس داخلة إلى جسم الإنسان على هيئة نار غير مؤذية . بهذا تشاهد روح الشر عندئذ خارجة من فيه على صورة حبة فى أكمامها . ثم يتبع ذلك وقت السعادة حين تحس الروح اتحادها مع عريسها ، كما تحس الزوج نفوة العناق مع زوجها حين يدخل بها ، وإذا فالمصلى يمتد أنه مشارك فى الطبيعة الإلهية ، وهم يدعون أن لهم انكشافات وكرامات لا تتيسر لعامة الناس . وكانوا يعصون ليطنوا بأقداسهم شياطينهم التى كانت تترامى لهم . وكانوا يدعون لأنفسهم علم الغيب ، والكشف عما فى نفوس الناس . كما كانوا ينظرون نظرة عدم اكتراث إلى وسائل الكنيسة العادية فى مداومة الخطيئة من نحو رياضة الرهبة و « والعشاء الربانى » Eucharist ، وقد قصرُوا أوقانهم كلها على الصلاة وجعلوا يتكففون الناس حتى يشدوا ومقهم . كما أنه كان من بينهم طوائفون فى الأرض من الرجال والنساء قد تخلوا عن الدنيا ومتاعها . وفى الصيف كانوا ينامون على قارعة الطريق . على أن مناهضهم يرمونهم بالفساد وانتشار الانحلال بينهم . . انظر : Encyclopaedia of religion and Ethics المجلد الخامس ص ٥١٠ .

رسالة الأزهر

وكيف يؤديها ... ؟

للشيخ أحمد محمد صقر

ليس في رسالة الأزهر قولان . . ولا اعتراض على تلك الرسالة في موضوعها . ولكن الخلاف يقع في الوسيلة التي يمكن بها أداء ذلك الواجب كاملاً . . .

فلو أراد باحث دقيق أن يطنب في تحديد هدف الأزهر لما خرج عما نوجزه في كلمات قصار هي أن غاية الأزهر « المحافظة — على الدين الإسلامي واللغة العربية ونشرهما . . . ، ذلك أن الأزهر حصن الإسلام . وهو القائم على درسه ونشره وحفظ أصوله وفروعه ما بقيت السموات والأرض . . ولا سبيل إلى ذلك الحفظ إلا بإتقان الفصحى وحفظ موادها وتذوق أدبها ورعاية طرق الأداء فيها . . . وقد يظن إنسان ذلك أمراً سهلاً المثال قريب المتناول . . ولكن من يدرك معنى الإسلام ومعنى اللغة العربية لا يسيغ لنفسه الحكم على مهمة الأزهر الناهض بهما بأنها مهمة سهلة ميسورة . .

فلو كان الإسلام دين رهبانية وصوامع . . أو دين عصر معين ومكان محدود فقط لمان الأمر وخففت المثونة . . ولكنه دين مجتمع ودين سياسة . . دين نظام ودين اقتصاد . . دين حكومة وإدارة وقانون . . وفوق ذلك فهو دين الغد كما كان دين الأمس ، وكما هو دين اليوم . . ليس محدود السلطان ولا موقوت العمل . . ولا مقصوراً على بلد من بلاد الله . . .

حينما تقرر أن رسالة الأزهر هي المحافظة على هذا الدين العظيم ونشره يجب علينا أن نتصور مشقة الواجب وععب الأداء . . وطول الطريق . . . وفي الوقت نفسه ننظر فنرى الأزهر لا يملك إلا رجالاً يشتغلون بالعلم والتعليم بمعنى أنه ليس هيئة سياسية ترسم الخطط وتحتال على الوصول إلى أهدافها ، وليس جماعة مالية تنثر الذهب في طريقها لتبلغ ما تريد . . .

وبالرغم من ذلك لا يستطيع أحد أن يدعى هيباً على الأزهر ، الذى يتخذ
الحسن وسيلته ، ونشر الثقافة جهده المستطاع .

فقد غزا العالم نوره ، وملا مسامع الدنيا صوته ، فتقاطر المبعوثون إليه
بغترفون من معينه ، وتنايع المتخرجون فيه صوب النفوس الظماء ، يبلون أوامها ،
ويروون غليلها ، ويرفقون بالآفدة الصادية ، والآنفاص اللاهثة .

وأصبح الأزهر قبلة العالم الإسلامى يحج إليها طلباً للنور والمعرفة ، وما كان
ذلك بقيادة عبقرى مغوار ، بل كان بفضل الرسالة نفسها ، فإن ديناً أراد له الله
الخلود ، ولغة حق لها البقاء ، لا بد أن ينتصرا على أحداث الزمن وصروف
الدهر . ولا بد أن تسرى قوة الرسالة فى أوصال حاملها فتخلق منهم بشراً
لا كالبشر ، وشباناً يسمون الشيوخ ، لأنهم جهنوا حكمة الشيخوخة وعزومة
الشباب . حملوا مشعل النور منذ ألف عام رغم الأعاصير الهوج ، والريح الرعزع
والعاصفة النكباء ، فما ضففوا ولا انقادوا طوع الهوى .

وفى الحق أنى ما تأملت تلك المأثرة التى تمت على يد الأزهر ، إلا تملكنى
شعور بالحب نحو هذا المأمه القديم العتيق .

وسرى فى نفس تيار من العرفان بالجميل والاعتراف بالواجب على العالم
الإسلامى إزاء ذلك الحصن المنيع ، حقاً ما كان القرآن أن يضيع فالله تعالى
ضمن له الحفظ والبقاء ، ولكن لو لم يكن الأزهر لاستعجمت الألسن وماتت
القرينة العربية ، ولو ظل الأمر العربى سائراً فى طريق الشوك منحدرأ إلى الهاوية
بعد أن ذبلت زهرته فى بغداد لكننا اليوم فى ظلمات من الجمالة لا يعلم كنهها
غير الله تعالى ؛ فاقتضت عناية الله أن يتلقف الأزهر مشعل الحياة ، ويحتضن
الثقافة الإسلامية وتصبح أروقة مثابة الدارسين من كل بقعة وأمة ، وقد تخرج
فى صحن الأزهر القديم رجال دافعوا عن الدين وحفظوا اللغة العربية وتدرج
الأزهر فى أطوار متعاقبة فبعث العلم والأدب وكان محط أنظار الشعوب بمثابة
معقل ترفرف عليه راية الزعامة الشعبية وليس غلوا أن نقرر : أن الأزهر
هو الذى خطا بمصر نحو الحياة الدستورية وهياها لسبق أخواتها فى الشرق .

وصارت الأمور إلى الأزهر الجديد ، فقد مضى الأزهر القديم محمودة مشكورا ، وتجددت الحياة في العالم الإسلامي وفي مصر زعيمة هذا العالم .. وكان لزاما أن يتجدد الأزهر كعبة العلوم الإسلامية .

وقد كان ١١٠ ولم يشمل التجديد ذلك الطابع الأزهرى ، وظلت الفكرة الأصلية واضحة ، وتمشيا مع مقتضيات العصر اتبع نظام التخصص في المراحل العالية فأنشئ فيه كليات ثلاث وحددت لكل كلية مهمتها ونوع المواد التي تدرس فيها ، وكل ذلك جميل وعظيم ، غير أننا نحس في الأزهر الجديد فتورا لعلة نتيجة حتمية للبيئة والعصر ، وهي ظاهرة تتجلى في كل أنواع التعليم على اختلاف أهدافه . وهناك شيء آخر ندسه في الأزهر الجديد ولا ندري أنسميه قصورا أم تقصيرا ... ؟

ذلك أن الطالب لا ينال اهتماما مذكورا ولا يُراعى حقه في الثقافة المصرية كأنه مضطر أن يفسخ كل الانسلاخ من بيئته ولا سيما في مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى ، فيشرب الطالب غريبا بين قومه كسير الفؤاد عاجزا عن مسايرة إخوانه متهما في ذوقه وتفكيره ، فإذا تسكلم في الأمور العامة أعرض الناس عنه كأنهم يقولون : ما للأزهرى والحياة العامة ، وماله وثقافة العصر ، ؟ إن هو إلا منقطع للعلوم القديمة ، والخلافات الميتة العديمة الفائدة ! ولذلك كله أثر في نفسية الطالب لا ينمحي وطابع يسمه بميسم الانزواء والبعد عن مشاكل العالم . ولعل تلك الضجة التي أثارها الكتاب على صفحات الجرائد منذ قريب .

حول الكتب الأزهرية ، والبرامج التعليمية في الأزهر تعتبر نتيجة للشعور بهذا النقص ... وإني مع ذلك لا أوافق على كل تلك النقدرات ... فالأزهر صلة بين الماضى والحاضر ... ولا بد من الإبقاء على ما يربطنا بهذا الماضى ، وإن كنا نطالب التخفيف وإضافة مواد تتصل بالاجتماع والاقتصاد يستعين بها الطالب على تبليغ رسالته إلى قوم يعجبون بعصرهم ويقدمون جديدهم ، حتى لا ينفروا كل النفور من الدعاة والمصلحين ، وخير الناس من لبس لكل حال لباسها ، وطابق بين مقتضى الحال وما يقول ، أما في مرحلة التعليم العالى فإنى أحس السطحية غالبية على دراستها ونحن في حاجة إلى الغوص وإلى الدراسة بعمق ، كما يقول

النقاد المحدثون ، أما الدراسة السطحية العرضية فإنها عقيم لا تفتح ولا تفيد ، نريد دراسة مستفيضة وتوسعاً في البحوث .

نريد أن تكلفونا تكليفاً بالغرض واستخلاص المعلومات من المراجع الشتية ، نريد أن تدفعونا دفعاً إلى الاعتماد على النفس ، وتتبع العروق العلمية في مناجها !! نحن نعترف بأننا نزال قسماً كبيراً من الحرية في المناقشة ولكن هذه الحرية مقصورة على كتب معينة وآراء لقوم سبقونا ولم يدعوا لأنفسهم العصمة ، فنحن نداول ونحاور ثم نعود إلى رأى فلان من المجتهدين ، ولو كان ضعيفاً اعتماداً على ما له من المكانة ، فإذا سئل أحدنا عن أمر يتعلق بالدين أو اللغة ، نجد أنفسنا مسوقين إلى ترديد تلك الخلافات فيعمل السائل ، وينصرف عنا معتقداً ألا نفع فينا ولا خير عندنا ، وليس هذا الكلام بعيداً عن رسالة الأزهر بل إن ذلك جوهرها ، فإن التقارب بين المصلح والناس أول خطوة في نجاح الفكرة ، فنحن لا نتعلم لأنفسنا فقط ، ولا للناس فقط ، بل نقصد للثقافة لعقولنا وأفكارنا حتى نستطيع التأثير في غيرنا .

وقد أصبح التجديد في وسائل الآداب جزءاً من الرسالة نفسها . . . فإذا تم للأزهر ذلك استطاع طلابه تبليغ الرسالة وأدامها . . . فكل فرد يعتبر داعية حيثما حل . . . في قريته وبين أهله . . . والأزهر هو المسئول عن تسليحه ليكون صورة قوية واضحة من صور الأزهر . . . وليكون عنواناً صحيحاً للإسلام . . . أما أدام الرسالة العالمية التي وقف الأزهر نفسه عليها فإنه يحتاج في أدائها إلى التجديد في العرض والابتكار في التبليغ كما هو الشأن في الجامعات العلمية الحديثة وذلك بأن يخرج مطبوعات بانتظام تقوم مقام المشافهة والخطاب . . . وتلك هي الطريقة الجماعية . . . فيعيد طبع الكتب النافعة وتوضحها وتحليل أفكارها وتبسيطها لتكون في متناول الناس في عصرنا .

ويعيد الكتابة في تاريخ الإسلام كتابة منصفة مليئة بالتحقيق والتحليل والنقد النافع والتمحيص المثمر ، وليكن للأزهر دائرة معارف إسلامية كبرى تعين المتبعين للثقافة العربية الدينية ولتكن له رسائل تبحث في مشاكل العالم من الوجهة الإسلامية ليشرح الناس أننا قوم نخدم البشرية ونتابع أطوارها .

أسلوب التمثيل

في القرآن الكريم

لحضرة الأستاذ عز الدين اسماعيل

قال الاصمعي : لضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخطي في إبراز خفيات الدقائق ، ورفع الاستار عن الحقائق ، تريك المتخيل في صورة المتحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ؛ وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لضاوة الجاح الأبى ، فإنه يؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه ، ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال ونشرت في كلام النبي وكلام الأنبياء والحكماء (١) . وقال تعالى : ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، وقال أيضا ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، . وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال : فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال (٢) . ولذا فأسلوب التمثيل من الأساليب العربية البليغة ، عرفه العرب وكثر في القرآن والحديث ، فكانت له بذلك أهمية خاصة . وفيما يلي نستعرض تمثيلا من التمثيلات القرآنية لنعرف قيمته ونطلع على سر بلاغته وأدلة إعجازه .

قال تعالى : وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء

(١) الاتقان للسيوطي ، ٢ - ٢٢٣ ط ٢ - ١٩٤١ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٢ .

ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عى فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .

قال الزمخشري في الكشاف : ولما وصدوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هدام الذي باعوه بالنار المضیئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم ، وتركهم في الظلمات . كانت حواسهم سليمة ، ولكن لما سدوا عن الإصاغة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألتفتهم ، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم ، جعلوا كأنما ألفت مشاعرهم . . . ثم ثنى سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالم بعد كشف وإيضاحاً غب إيضاح . وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يحمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشيع . وقد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فإذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق ؟ لقاتل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى أو كمثل ذى صيب . والمراد كمثل أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا . ثم كيف يصنعون في تارقى خفوق البرق وخفيته ؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل

بما يأتون وما يذرون ، إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم
انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وفتر لمعانه
بقوا واقفين متقيدين ، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم وفي ضوء
البرق فأعماهم .

وقد أغفلنا في نقل هذا الشرح للزخشرى — وهو من أقوم الشروح —
ما يتعرض له بين الفينة والفينة من مشكلات لغوية وبلاغية . والآن نبين رأيه
في بلاغة هذا التمثيل فراه يقول في مستهل كلامه : لما جاء بحقيقة صفتهم أعقبها
بضرب المثل زيادة في الكشف وتعميق للبيان . ثم ينقل عبارة الاصبهاني التي
صدرنا بها هذا المقال ، إلى أن يقول : والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو
النظير . يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل
مضربه بمورده مثل . وإذا سأل سائل هل ما في الآية استعارة أجاب بأنه مختلف
فيه ، وأن المحققين على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور
وهو المنافقون . ونجده يورد آخر الأمر رأيا لعله أدنى إلى الصواب والفهم السليم
فيخلص إلى أن الصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه هو أن التمثيلين جميعا
من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة ، لا يتكف الواحد واحد شيء يقدر
شبهه به . وبيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض ، لم يأخذ
هذا بحجرة ذاك فتشبهها بنظائرهما كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن ، وتشبه
كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى
كقوله تعالى ، واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . .
فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر . فأما أن يراد تشبيه الأفراد
بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيره شيئا واحدا فلا . فكذلك لما
وصف وقوع المنافقين في ضلالهم وما ضبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت
حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعض إيقادها في ظلمة الليل
وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

هذا الرأي الأخير الذى انتهى إليه الزمخشري رأى طيب لو أحسنّا استخدامه؛ فالذى لا شك فيه أن التمثيل فى الآية لا يمكن أن يفصل كل جزء من أجزائه ليُشبه به ذلك الجزء من المشبه الذى لم يظهر فى الكلام ، لأن جوامع الشبه بذلك مستختلفة وتعدد دون أن يُقصد إلى شيء من هذا الاختلاف والتعدد ، وإنما الذى قصد من التمثيل فى الآية هو إكساب المشبه الصفة الحاصلة من الصورة التى ترسمها جميع أجزاء المشبه به مجتمعة متضامة . ونحن الآن بسبيل الإعراف على جوهر الفكرة ورسم الخطوط الواضحة للعملية الفنية التى يقوم عليها التمثيل فى الآية وفى غيرها من الآى . فالملاحظ أنه فى كل أساليب التمثيل لا يكون لدينا إلا مشبه واحد . هذا المشبه فى الأغلب الأعم يكون أمراً معنوياً لأنه يكون صفة ، والصفة على العموم تفهم ولا تحس : ففى قوله تعالى : مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، إنما يصف أعمال الكفار ، فإذا الصفة أمر معنوى فينقله بالتمثيل فى قوله كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف إلى شيء محسوس . ولكن يجب أن نقبّه هنا إلى أنه لا يقصد أن أعمال الكفار تشبه الرماد الذى اشتد به الريح فى اليوم العاصف وإلا لما كان ذلك مفهوماً ، وإنما المقصود هو أن الصفة التى يمكن أن توصف بها أعمال الكفار تلتقى أخيراً بالنتيجة التى يستنبطها العقل من صورة الرماد حين تعصف به الريح . فصفة أعمال الكفار ، ومفهوم الصورة المادية التى رسمها الله لها هما اللذان يلتقيان ويتشابهان ، وهما فى الوقت نفسه أمران معنويان ، وغاية ما فى الأمر أن للصورة أو التمثيل المادى لصفة أعمال الكفار بهذه الصورة المادية ، صورة الرماد تذروه الرياح إنما هو أسلوب لا يقصد لذاته ولا يؤخذ فتفصل أجزاؤه لاكتناء معناه والوقوف على مرماه ، وإنما هو وسيلة إلى غيره ، هو وسيلة إلى تصوير معنوى لصفة معنوية هى صفة أعمال الكفار . وهذا التصوير المعنوى يتحصل بالضرورة من مجموع تلك الصورة المادية التى اتخذت معداة أو قنطرة إلى تلك الصورة المعنوية . فتجسيم القرآن وتشخيصه للعنويات بهذه الصورة ينتج عملاً فنياً هو من الأعمال الفنية فى الذروة ، كما يؤدى غرضه الاصيل المقصود من التصوير وما يمكن أن ينقله إلى النفس من إحساس بالمعنى المفهوم وإدراك له .

رثاء

انتقل الى الدار الآخرة في اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٠ العالم الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر متأثراً بدهاء عضال ألم به نحو ثلاثة أشهر ، فكان لنعيبه أسف عميق لدى كل من عرفه ، وغشى مجلسه ، لما كان عليه ، رحمه الله ، من محاسن الشيم ، والتواضع ، وحسن الإصغاء لذوى الحاجات . تاقى رحمه الله العلم فى الأزهر ، ونال درجة العالمية فى سنة (١٩٠٦) ، وعين مدرسا فى معهد الاسكندرية ، ثم تولى القضاء بالمحاكم الشرعية ، وتقلب فى وظائفها واشتهر فيها بإيثار العدل والإنصاف .

وفى سنة (١٩٣٦) اختير ليكون إماما خاصا للمغفور له الملك فؤاد ، فشغل هذا المنصب نحو خمس سنين . كان فيها حاصلا على رضا صاحب الجلالة وعطفه . وفى سنة (١٩٣٩) ، حين وضع للتدريس بالأزهر نظام جديد ، وقسمت الدراسة العالية فيه الى ثلاثة فروع ، وأنشئت لها كليات ثلاث : واحدة للشرعية وأخرى لأصول الدين ، وثالثة للغة ، اختير الشيخ رحمه الله شيخا لكلية الشريعة ، فكث يشغل منصبه فيها بكفاية محمودة ، وعمل مشكور قرابة ثلاث عشرة سنة .

وفى سنة (١٩٤٤) أسندت إليه وكالة الجامع الأزهر ، وكان المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخا له ، فلبث فى هذا المنصب حتى توفى الاستاذ المذكور ، وترددت الحكومة فى تخيير رجل كفء لشغل منصب المشيخة ، فوقع الاختيار على المرحوم الاستاذ مصطفى عبد الرازق ، فرق أن قانون الأزهر يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يكون من هيئة كبار العلماء ، ولم يكن الاستاذ المذكور منها ، فاستحسن أن ينقح هذا القانون حتى يتسع لتعيين من يصلح من لا تنطبق عليه شروطه من أجلاء العلماء ، مادامت تتوافر فيه المؤهلات العلمية والأدبية . فلما هرض هذا الحل على المرحوم الشيخ محمد مأمون الشناوى أبى ورأى أن يستميل من منصبه ، وأن يتولى هذا الأمر غيره . فقبلت استقالته . ومضت الحكومة فى إصلاح ذلك القانون ، وعين المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر . فلما كانت سنة (١٩٤٨) وتوفى الاستاذ المذكور ، أسندت الحكومة مشيخة الأزهر إلى

الشيخ محمد مأمون الشناوى فى الشهر الاول من تلك السنة . فلبث فيها الى أن وافته أجله فى الحين الذى ذكرناه آنفا .

ومما يجب تسجيله للأستاذ المرحوم حالة الاستقرار الذى شمل جميع طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية ، وفاء منها بشكر ما أداه إليهم من الخدم فى مساواة خرجيهم بخريجي الجامعة المصرية فى المراتب ، وفيما كان عاملا عليه من تحقيق أمانهم .

محمد فرير وهدي

مرشد الأنام

لمعرفة الحلال والحرام

هذا كتاب قيم ، جليل القيمة ، عظيم النفع ، وضعه الأستاذ الفاضل على فكرى بك ليكون لمقتفيه مرشدا أميناً لكل ما يهمه معرفته من الحلال والحرام ، فهو ذخيرة دينية لمن يستشيرها فى أموره الدينية ، لا يستغنى عنه المسلم الذى يهمه أن يترسم فى حياته الطريق المستقيم .
كتبنا مقدمة لهذا الكتاب قلنا فيها :

« وقد تعقب مؤلفنا الفاضل المحرمات الى أبعد وأخفى مظانها ، كما يتعقب (البكتريولوجى) الميكروبات الضارة فى أدق وأفضل مظاهرها . فقد أتى على المحرمات الصادرة عن هواجس القلوب ، ومسارح العيون ، واصغاء الآذان وفضول اللسان ، كأضمار الشرور ، والنظر الى المحرمات ، وسماع البهتان والغيبة والنميمة الخ... فهذه كلها محرمات يتجاهلها أكثر الناس ، ويتخيلون أنهم ما داموا بعيدين عن مشهورات المحارم ، كالخنزير والميسر والفسق ، فهم فى حل لأن يقعوا فى أعراض الناس بالظنون السيئة ، وأن يغتابوهم بغير ثبوت ، وأن يشهروا بهم ، لا كراهية فيما يرتكبون ، ولكن تشفيا منهم ، ونشرا لمساوئهم ، ليحملوا الناس على تحقيرهم وكراهتهم ، وما دروا أنهم يسيئون الى أنفسهم قبل أن يلحقوا الأذى بخصومهم . »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

شيخ الجامع الأزهر

في اليوم الأول من شهر نوفمبر عام ١٩٥٠ دعا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم جمهوراً من حضرات العلماء ورجال الصحافة ، وألقى فيهم بياناً مفصلاً ، لما انتوى إحداثه من الإصلاحات في الأزهر ، وفضيلته في سمو تفكيره ، ومضاء عزيمته ، وحبه للإصلاح ، جدير أن يرى ضرورة إحداث هذه الإصلاحات الجليلة ، وما يتجدد منها في الناهيتين الدراسية والنظامية ، حتى تصبح الجامعة الأزهرية أجمع تامة لتشتيت المعارف ، كما هي أقدمها جميعاً في الوجود ، وأنها المهمة جد خطيرة ، نرجو أن يمدد الحق بروح من عنده ليوفيقها حقها .

أهوائي وأبنائي الصحفيين

أحمد الله تعالى اليكم ، وأصلى وأسلم على نبيه وصفوته من خلقه سيدنا محمد الذي بعثه رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأسأله تعالى أن يجعلني وإياكم من الداعين إلى الخير ، الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الحافظين لحدود الله ، وأن يؤيد بعنايته وتوفيقه حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ، صاحب اليد الطولى ، والفضل المشكور في كل توجيه سديد إلى ما فيه مصلحة الأمة ، وتركيز الحق والعدل ، وإعلاء شأن الدين والعلم ، كما أسأله تعالى أن يوفق رجال حكومته الجليلة وسائر أفراد رعيته المخلصين إلى ما يرفع شأن الأمة ، ويحيي مجدها ، ويثبت دعائمها ، وأن يفسر على العالم في مشارق الأرض ومغاربها ، لواء رحمته ، وظل سكيفته ، ويهديهم صراطه المستقيم .

لقد دعوت إلى هذا المؤتمر اعتداداً بالصحافة الرشيدة ، وإدراكاً لمساكنتها وأثرها في توجيه الأمة إلى مواطن الخير والاستقامة والرشاد في شتى نواحي الحياة ، وإن بين الصحافة الموفقة والأزهر الشريف لاتفاقاً في الغاية ، وتلاقياً على الهدف ، ذلك بأنهما يرميان كلاهما إلى الإصلاح والتقويم ، ويرشدان إلى أهدى السبل لتحقيق الخير ، وتثبيت دعائم الحق ، لذلك لا أراى في حاجة إلى مناشدتهم أن يكونوا عوناً لدعوة الإصلاح والفضيلة في الأمة ، وأن يحبوا إليها أخلاق الشرف والاستقامة التي تنهض بها الأمم ، وتقوم عليها الشعوب ، ويكرهوا إليها أخلاق الضعف والانحلال التي ما تفشت في أمة إلا أخذها الله بالعذاب ، وأتى بنيانها من القواعد ، صان الله أمناً ووقاها ، وأعادها من كل سوء .

لقد تشرفت في العاشر من المحرم سنة ١٣٧٠ هـ الموافق (٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٠) بمقابلة حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم ، لرفع فروض الولاء والشكر لجلالته على ما تفضل به من إسناد منصب المشيخة إلى ، وأصار حكم بأننى كنت قبل أن أتشرف بهذه المقابلة محسباً بثقل التبعة ، مشفقاً على نفسى من تحمل هذه الأمانة الكبرى ، فلما تشرفت بمقابلة جلالته ، ولقيت من عطفه السامى ما لقيت ، وشعرت وأنا فى حضرة بشدة رغبته فى الإصلاح ، وعظيم حرصه على أن ينهض الأزهر برسائله ، وكريم استعدادده لتأييد العاملين المخلصين : شرح الله صدرى ، وأقر عيني ، وأحسست أن روحاً من القوة والعزيمة يسرى فى نفسى .

لقد وجدت جلالته حفظه الله محيطاً بشئون هذا المعهد دقيقها وجليلها ، حريصاً على أن يحفظ أمانته الغالية التي ائتمنه الله عليها ، وكان من ذلك أن جلالته - أدام الله توفيقه - بادرنى بتوجيهات وإرشادات سامية ، أضادتلى السبيل إلى تحقيق ما أبتغيه من ضروب الإصلاح ، وإنى إذ ألخص لحضراتكم خطي ومنهاجي فى الاضطلاع بشئون الأزهر : إنما أصدر عن هذه التوجيهات الكريمة ، والإرشادات السامية .

إن مهمة الأزهر ، ذات شقين عظيمين :

أحدهما : تعليم أبناء الأمة الإسلامية دينهم ولغة كتابهم تعليماً قوياً منمراً يجعلهم حملة للشريعة ، أئمة في الدين واللغة ، حُفَظًا حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح .

الثاني : القيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته ، وإقامة حجته ، ونشر دينه ، فإن هذا الدين عام خالد إلى يوم القيامة ، وقد شرعه الله للناس جميعاً ، وأنبأنا أن فيه صلاح العالم واستقامته على الصراط السوي ، وأنه سبيل الأمن والسلم والحياة الطيبة ، وأوجب على المؤمنين في كل زمان ومكان أن يقوموا بالدعوة إليه ، وإظهار نوره ، وأن يسلكوا لذلك سبيله ، ويأخذوا بأسبابه .

وإذا كان تبليغ الدين ، ونشر أحكامه ، وبث تعاليمه واجباً على المؤمنين في كل الأوقات ، فإنه على أهل الأزهر أوجب ، وفي هذا الزمان ألزم ، فإن العالم ينوء اليوم تحت أعباء الدعوات الفاسدة ، والمبادئ الخطرة ، ولا يقوم من كارثة إلا إلى كارثة ، وأهل الأزهر بما لهم من الصدارة الدينية ، والتاريخ المجيد ، أقدر الناس على بيان ما في الإسلام من مزايا تكفل للعالم الحياة السعيدة والأمن والسلام ، وتوطد فيه دعائم الحرية الصحيحة والمساواة الحقيقية لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، إلا بما يقدمه العاملون من أعمال صالحة ، وجهود نافعة . يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

على رعاية هذين الجانبين يجب أن تقوم خطة الإصلاح في الأزهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه .

• • •

وسبيلي إلى ذلك في الأمر الأول ، التي أخذ بها نفسي ، وأدعو إليها إخواني وأبنائي الأزهريين ، أن نستحضر دائماً هذه المبادئ ، وأن نصدر عنها في كل شئوننا التعليمية .

فأول ذلك ، أن يكون ههنا الأكبر التفرغ لتكميل أنفسنا ، والتزود من العلم يزداد طيب يعيننا على أداء حقوق الله وحقوق أمتنا العزيزة ، ويحمل لنا في الناس

منزلة وشأناً ، فإن العلم هو غذاء العقول ، وكال نفوس ، وأساس التقدم ، وما من خير يناله الأفراد ، وتحصل عليه الأمم والجماعات ، إلا والعلم أصله ، والمعرفة أساسه ، وما من شر أو ضعف أو فقر ، أو اضطراب أو اختلال أو انحلال ، إلا ومصدره الجهل ، وخطأ التصور والقصور أو التقصير في المعرفة والإدراك .

وإذا قلت العلم ، فإنما أريد العلم الذى يطبع أصحابه بطابع الفضيلة والخلق الكريم ، وتظهر آثاره في أفعالهم وأعمالهم قبل أن تظهر في أقوالهم وكتاباتهم وخطبهم .

إذا استحضرنا هذا المبدأ دائماً ، فجعلنا العلم غاية لنا ، والتجمل بالمعرفة والفضيلة شعارنا ، أمكننا أن نتغلب على المشاق ، وأن نقهر الصعاب ، وأن نعتصم بالصبر في جميع شئوننا ، وأن نطمئن إلى أن أمورنا ستقترن ، وأن آمالنا ستتحقق ، وأن الأمة ستقدرنا حق قدرنا ، وأن الدولة ستوفر لنا أسباب المعونة والإنصاف ، ولا تبخل علينا بما تجود به على غيرنا .

إن الأزهرين كغيرهم من طوائف الأمة ، للأمة عليهم حقوق ، ولهم عليها حقوق ، والمساواة بينهم وبين أمثالهم في حقوقهم ، كالحرص على قيامهم بواجباتهم ، جزء من برنامجي ، وموضع من مواضع اهتمامي وعنايتي ، وإني لوائق أنهم بالعمل الدائب ، والجهاد الخالص ، رافعون إن شاء الله صوتي ، ومؤيدون حجتي . أسأل الله أن يحقق آمالي فيهم ، وآمالهم في ، وأن يحقق فينا جميعاً آمال الأمة التي هي أعز آمال المليك المعظم .

المبدأ الثاني : أن نعتنى بالآهم من العلوم بالنسبة إلينا ، فنبدل أكبر جهودنا لدراسة الدين واللغة وما يتصل بهما ، ويعين عليهما ، وألا نتخلى في الوقت نفسه عن العلوم التي تفيدنا في حياتنا العامة ، والتي لا يسعنا ولا يحمل بنا أن نجهلها .

إن الأمة تريد من الأزهر أن يخرج لها علماء في الدين والشريعة واللغة وسائر العلوم العقلية والاجتماعية المتصلة بها ، على أن يكون هؤلاء العلماء مزودين مع هذا بقدر صالح من العلوم الأخرى التي تفيدهم في مجتمعهم ثقافة عامة .

المبدأ الثالث : أن المقصود الأول من التعليم هو تحصيل الملكة الصحيحة في العلم ، والنزود من قواعده ومسائله بما يفيد وينفع ، فكل تعليم لا يؤدي إلى غايته ، ولا يفيد الفائدة المقصودة من العلم إنما هو تضییع للأوقات والجهود وإنفاق للأموال والمواهب فيما لا طائل تحته .

فإذا استحضرنا هذا المبدأ كان لزاما علينا أن نعمل على مراجعة ما لدينا من الكتب ، فنقر منها ما ثبتت صلاحيته لتحقيق الغاية من العلم ، ونبعد منها ما لم تنوثر فيه أسباب تلك الصلاحية .

إن الكتب التي ورثناها نوعان :

أحدهما : تلك الكتب الأولى التي ألقت والعلم صاف ، والمؤلفون يكتبون على سجيتهم ، ويمضون في البحث على فطرم ، لا يقصدون إلا تجلية ما يبحثون والوصول إلى الفائدة من أقرب الطرق .

وهذا النوع من الكتب فيه علم غزير ، ومادة صالحة طيبة ، وغذاء للعقول وتخرج لها على طابع استقلال مثمر ، فليس من الرأي أن نحرم أنفسنا ما فيها من المزايا ، وأن نضل عنها مبعدين .

النوع الثاني : ما كتبه المتأخرون حين كانت تسودهم الرغبة في الإيجاز وجمع المعلومات الكثيرة في الالفاظ القليلة ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى حد الإلغاز .

وهذه الكتب من شأنها أن تضییع أوقات المشتغلين بها ، وتبعث في نفوسهم الكراهية لها ، والنفور منها ، والطالب لا يصلحه إلا أن يحب كتابه كما يحب أستاذه ، فإذا كره هذا أو ذاك كان غذاؤه كرها ، وهضمه كرها ، ورب غذاء تضوى به الأجسام .

لكننا مع ذلك نحوى كثيرا من الفوائد العلمية ، التي قد تخلو منها كتب النوع الأول ، وتمثل في الوقت نفسه عصرا من عصر التفكير العلمي لا يسع الأثر أن يجهله ، وأن يعجز عن مزاولته ، وإدراك ما فيه من خير .

والرأى عندى أن براعى الأزهر المصلحتين ، وأن يوفق بين هاتين الغابتين
المحمودتين .

سيكون من أم ما أعفى به إن شاء الله تأليف لجان من جماعة كبار العلماء
وأساتذة الكليات والمعاهد والمختصين في شئون التعليم لمراجعة الكتب الدراسية
ولإبقاء الصالح منها ، واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيهها حسناً إلى العلم النافع
من أقرب طريق وأيسره .

ولا يفوتنى أن أشجع - إن شاء الله - مع هذا حركة التأليف والتجديد
عن طريق الجوائز وغيرها حتى يتصل حبل العلم ويمتد ، وتأخذ العقول والأفكار
سبيلها إلى غابات قد يكون فيها خير وبركة على العلم والدين .

° ° °

أما الشق الثانى من مهمة الأزهر ، وهو القيام بتبليغ الدعوة ، ونشر دين الله
فسبيل الأزهر إليه أن ينظم اتصاله بالعالم اتصالاً فكرياً وعملياً .
وقد تشرفت فى هذا الشأن أيضاً بتوجيهات سامية حكيمة من لدن
جلالة الملك :

منها العمل على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، نشر كتاب
الله الكريم فى بيئات ومواطن يجب علينا أن ننشره فيها ، ولا ينبغي أن نتجاهل
ما يعود على ديننا وأمتنا من الفوائد الجليلة فى ذلك .

وقد كان هذا المشروع موضع تفكير الأزهر من قبل ، وأقرته جماعة
كبار العلماء بعد دراسته وتبين حكم الله فيه ، ويسرنى الآن أن أعلن ما اعتزمته
من أعداد العدة للشروع فيه على بركة الله ، وأسأله جل شأنه المعونة
والتوفيق والسداد .

ومنها توجيه العلماء - أولاً - إلى وضع أبحاث فى الفقه والتشريع تسار
الروح العلمى الحاضر ، وتكفل إبراز ما فى الفقه الإسلامى من قواعد العدل
والرحمة والمصلحة التى تشهد بها الفطر السليمة ، والعقول الراجحة ، وتبين للناس
أن ما جاء فى التشريعات الحديثة القائمة على أسس سليمة ؛ موجود فى الفقه الإسلامى
مع بيان أدلته وحججه ، ودفع الشبه عنه .

و - ثانياً - إلى إصدار نشرات ووضع مؤلفات باللغات الأجنبية لبيان حقيقة الإسلام ، والتعريف بمزاياه . حتى يعلم المنصفون من الأمم أن الإسلام هو الكفيل وحده بالحياة الطيبة للفرد والأسرة والجماعة .

ومنها العمل على النهوض بالبعوث الإسلامية وتنظيم الاتصال بالبلاد المحتاجة إلى معونة الأزهر ، ولا سيما البلاد التي تربطها بمصر روابط وثيقة ، حتى يؤدي الأزهر واجبه في نشر الثقافة الدينية بين المسلمين ، ويجعل ممن يتلقاهم أو يبعثهم مُشَلا صالحة تكون خير عنوان له .

ومنها العناية بمجلة الأزهر حتى تكون في طليعة المجلات الكبرى ، وتتمكن من أداء مهمتها على الوجه الأكمل .

ومنها العمل على إنشاء مطبعة خاصة تعين على إخراج ما يرى الأزهر إخراجه من الكتب ، وعلى طبع مؤلفات علمائه .
ومنها العمل على تنفيذ الرغبة السامية بشأن كتب الحديث الشريف .

مركز تحقيق كميوتير علوم إسلامي

هذه هي الخطوط الرئيسية في برنامجي للنهوض بالأزهر ، والسير به في طريق التقدم والكمال .

ولست أشك في أن أهل الأزهر سيتلقون هذه التوجهات الملكية السامية بعزائم صادقة ، وهم وثابة ، معترزين بها ، عاملين على تحقيقها ، وأن حكومة جلالة الملك ستعيني عليها ، وتؤيدني فيها ، فإن ما أعله عن صاحب المقام الرفيع رئيسها ، وأصحاب المعالي زملائه الكرام من حرص على كل ما يثبت دعائم الدين والعلم والخلق ، وبحقق آمال الأزهر وآمال الأمة فيه ، ليعت الاطمئنان كل الاطمئنان إلى قلبي وقلب كل مؤمن .

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه ، ويسر لنا سبيل العمل الصالح لخير الإسلام والمسلمين بل لخير العالم أجمع ، وأظل بالرعاية والتوفيق جلالة مليكنا المعظم ورجال حكومته ، إنه سميع مجيب ؟